محمد محمد

ملحق
المجلد العشرين
لمجلة المعلم الجديد
كانون اول ١٩٥٧

اقاصيص مترجمة

كاميليو فون كافور ـ قصة المانية
الذئب ـ قصة فرنسية
ثلاثة على مائدة ـ قصة انكليزية
قبلة الوداع ـ قصة ايطالية
ام وابن ـ قصة يابانية

مع
مقدمة فى القصة القصيرة
للدكتور علي جواد الطاهر

مطبعة المعارف ـ بغداد

ملحق
المجلد العشرين
لمجلة المعلم الجديد
كانون أول ١٩٥٧

اقاصيص مترجمة

كامليو فون كافور ـ قصة المانية
الذئب ـ قصة فرنسية
ثلاثة على مائدة ـ قصة انكليزية
قبلة الوداع ـ قصة ايطالية
ام وابن ـ قصة يابانية

مع
مقدمة في القصة القصيرة
للدكتور علي جواد الطاهر

مطبعة المعارف ـ بغداد



(كلمة فى القصة القصيرة)

كتبها الدكتور علي جواد الطاهر
المدرس فى دار المعلمين العالية

للقصة تاريخ طويل يبلغ عمر البشرية أو يكاد ، وقد كانت القصص ـ اول ما كانت ـ خبرا وحكاية واسطورة[1] ثم مغامرات وخوارق لا تصدق ، في الحرب والحب ..، وامتد بها العمر ونالها التطور وربطتها مدام دلافايت بالنفس وجان جاك روسو بالطبيعة .. واكتسبت الجد وعالجت التقاليد والمجتمعات ؛ وعنيت برسم دقائق الاطارات والمناظر والاشخاص.. فاصبحت أوسع وأعمق وأكثر صدقا ، وانجبت أفذاذا من اقطار مختلفة منذ القرن التاسع عشر ـ خاصة . واذا كان « الواقع » هو مادة هؤلاء الافذاذ ومصدر وحيهم ، فانهم لم يستطيعوا ولم يحاولوا أن يجردوا آثارهم من الخيال ؛ لان الخيال عنصر أساسى فى كيان القصة ، ولانه الجزء الاكبر من تعريفها الجامع المانع ؛ وكل ما فى أمره ، انه اختلف فى النسبة ولبس للحال الجديد لبوسا جديدا .

كان تاريخ القصة طويلا لان حاجة الانسان اليها فطرية ، ولم يستطع انيستغنى عنها حتى فى حياته الحديثة المعقدة ، ويكفى انها باتت ابرز الوان الادب واكثرها قوة . وربما كان السبب فى ذلك مرونتها

---

(١) جاء فى قاموس المصطلحات الادبية :
Dictionary of World Literary Terms (London, 1955)
ص ٣٧٣ ـ ان المصريين القدماء تركوا لنا مجموعة « حكايات السحرة » تضم قصصا ترجع الى حوالى ٤٠٠٠ سنة ق.م ، كما ترك لنا الهنود والعبريون والاغريق والعرب .. مجموعات اخرى .

ويروى هذا الخبر فى مقالة « القصص القصيرة » ص ١٢٥ـ١٥٦ من كتاب « دراسات فى الادب الامريكى » الذى نشرته مكتبة النهضة المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين . وقد كتب الموضوع راى وست الصغير ولخصه أحمد قاسم جودة .

وقابليتها لمطاوعة كل موضوع وكل عاطفة وكل أنواع الانشاء والاساليب[١] .

والقصص أقسام ومناحى ، فاذا أردت أن تعرفها من حيث الشكل وجدتها عند الفرنسيين مثلا على ضروب منها الـ Conte (ويقابلها بالانكليزية Tale) وهى حادثة مغرقة فى الخيال ترويها الشفاه وتتناقلها الاجيال وتتفنن فى عرضها « الجدات » ، ولا يخلو منها شعب على وجه الارض ـ مهما بلغ من البدائية ـ وربما كانت البدائية شرطا فيها ... فالـ Conte اذن حكاية .

ثم تأتى يد الانسان وتنقلها الى الورق ـ مع شيء من التعديل والتبديل ـ محتفظة بالطابع الساذج والخيال الطاغى والجن والملائكة ولكنها تظل حكاية .. ومن أمثلتها فى هذه الحال ما هو مشهور معروف من آثار شارل پرّو (١٦٢٨ ـ ١٧٠٣ Perrault) وقد جاست سندريون وذات القبعة الحمراء خلال تقاليد العالم[٢] .

---

(١) Abbé C. Vincent — Theorie des Genres Litteraires, Paris (Gigord), 19 ed. 1946, P 280.

لقد نالت القصة من النمو ما كادت تبتلع به أنواع الادب الاخرى ، وبدت لعيون كثير من الناس وكأنها كل الادب (ممن نص على ذلك Jean Suberville فى كتابه نظرية الفن والانواع الادبية نقلا عن Maynial فى كتابه الذى اختار فيه صفحات لقصاصى القرن التاسع عشر) وقال Charles Plisnier فى كتابه "Roman" الذى نشره Grasset عام ١٩٥٤ : « لا استطيع أن اخفى بأنى أضع القصة على رأس كل الانواع الادبية » .

(٢) ترجم عدد من حكايات برو منفردا هنا وهناك . وترجمت له دار المعارف بمصر « مملكة السحر » فى سلسلة « أولادنا » .

وتأخذ الـ Conte مظهرا آخر تحسن ترجمته بالاقصوصة ، وهى أشبه شىء بالحكايات من حيث الخيال والحادثة والسـرد ، ولكنهـا من عمل مؤلف بعينه ومن فنه وطابعه ـ وقصده • وأمثلتها كثيرة منذ القرن التاسع عشر ـ خاصة • ويمكنك أن تدخل فيها من آثار غير الفرنسيين أقاصيص « أندرسن »(١) و « هوفمان »(٢) و « پو »(٣) • ومع أن پو تأثر بغيره فان من الناس من يعده أبا الاقصوصة ، أو ، أول استاذ كبير لها ـ فى الاقل • وكان پو الى ذلك مبكرا فى الكلام على طبيعة الاقصوصـــة وبعض ما تقتضيه من تعميمات وذلك على أثر « ظهور طبعة جديدة فى مجلد واحـــد • • • لمجمـوعـة قصص هـو ثـورن « الحكـايـات المعـــادة "Twice - Told Tales"(٤) وقـــد نشــر ذلك عـــام ١٨٤٢ فى

---

(١) هانس كرستيان اندرسن ، دنماركى ولد عام ١٨٠٥ وتوفى عـام ١٨٧٥ وقـد ترجم له ـ عن الانكليزية ـ محمود ابراهيم الدسوقى مجموعة من اقاصيصه وضمنها العدد الثامن من سلسلة عيون الادب الغربى التى كانت تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة (١٩٤٠) •

(٢) ألمانى ، ولد سنة ١٧٧٦ وتوفى سنة ١٨٢٢ •

(٣) ادكار ألن بو ، امريكى ولد ١٨٠٩ وتوفى ١٨٤٩ وقد ترجم له ابراهيم عبدالقادر المازنى « نبيذ الامونتيلادو » ونشرها سنة ١٩٣٩ فى كتاب « مختارات من القصص الانجليزى » وهو الكتاب الذى يؤلف العدد السابع من سلسلة عيون الادب الغربى • وترجم له نجاتى صدقى مجموعة بعنوان « الخنفسة الذهبية » نشرتها دار الكتاب ـ بيروت ١٩٥٤ •

(٤) دراسات فى الادب الامريكى ص ١٢٧ وتنظر دائرة المعارف البريطانية فى طبعتها الاخيرة ، كما ينظر قاموس المصطلحات الادبية •

Graham's Magazine (١) ومما قال فى تحديدها انهـا أية قصـــة تقتضى قراءتها من نصف ساعة الى ساعة واحدة أو ساعتين ، وان كاتبهـــا يتصور أثرا معينـا يريد أن يخلقه ويعمـل عـلى أن يخترع له الحوادث ويلبسها الكلمات التى ستحدث الاثر (٢) « ولنفرض أن أديبا ماهرا يريد أن يفرغ فنه فى قصة . انه ان كان حكيما لم يكيف افكاره طبقا لحوادث قصته ، بل يجب أن يستقر قبل كل شىء ، وفى عناية فائقة ، على « أثر » معين فريد أو نادر يرمى الى اظهاره ، ثم يؤلف الحوادث المناسبة بعد ذلك ـ وعندئذ ينسق هذه الحوادث على أحسن وجه يراه كفيلا باظهار « الاثر » الذى استقر عليه من أول الامر . فاذا كانت عبارة الاستهلال نفسها قاصرة عن ابراز ذلك الاثر فقد أخفق المؤلف اذا فى اولى خطواته . فما ينبغى خلال القطعة الادبية كلها أن يخط قلمه كلمة واحدة لا تتسق ـ بطريق مباشر أو غير مباشر ـ مع خطته المرسومة المقررة(٣) » .

« نعم لقد استطاع عبقرى مثل « بو » أن يأخذ نفسه أخذا دقيقـا بقيد الاقصوصة « فحصر نفسه فى الحوادث » ولون « الحوادث فى الوقت نفسه بلون الحالة النفسية التى أحاطت بوقوعها ، تلوينا قويا ساطعا يترك فى نفس القارىء أثرا فيه دراسة كاملة لموقف من مواقف الحياة ؛ لكن ذلك

---

(١) هكذا فى دائرة المعارف البريطانيــة (ط ١٧) أما كتـاب دراسات ص ١٢٧ فيجعل ظهور طبعة مجموعة هوثورن سنة (١٨٥١) وهو تاريخ غير معقول اذا علمنا أن وفاة بو كانت عام ١٨٤٩ .

(٢) قاموس المصطلحات .

(٣) دراسات ص ١٢٧ .

وينظر عزالدين اسماعيل فى « الادب وفنونه » القاهرة ١٩٥٥ ص ١٧٢

لا يعدو أن يكون خداعا يحدثه فن الكاتب[١] ... » .

ان « تعريف » « بو » مشتق ، من قصصه ومشتق ، من نفســه ومزاجه ، ولا يعنى انه يصلح لكل قصة وقصاص ، بل ان فيه ــ على رغم قيمته وعنايته بوحدة الاثر ــ كثـيرا من الافتعـال والدعـوة الى الافتعـال « وربما كان أضعف ما فيه ذلك الايحاء الضمنى بأن تأليف القصة لا يعدو أن يكون عملية مرسومة تكاد تكون آلية بالنسبة للكاتب »[٢] لقد « كان « بو » معنيا بالصيغة النظرية أو المصطنعة للقصة أكثر مما كان يعنيه أن يقيم فنه على أساس متين من العالم الذى يعيش فيه[٣] » .

ولنلاحظ أن « بو » كان يسمى قصصه Tales ، وكذلك كان يفعل هورثورن وملفيل ، والى هؤلاء الثلاثة يعود الفضل الاكبر فى شأن الاقصوصة الامريكية[٤] .

وكتب Brander Mathews عام ١٨٨٥ فى « فلسفة القصـــة

---

(١) هـ٠ب٠ تشارلتن ــ فنون الادب ، عربه زكى نجيب محمود فى العدد الثانى من سلسلة الفكر الحديث الذى أصدرته لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٤٥ ٠

(٢) دراسات ص ١٢٧ ٠

(٣) دراسات ص ١٣٣ ٠

(٤) دراسات ص ١٢٦ ٠

ومما يذكر بشأن هوثورن انه « قد كتب مقدمة لمجموعة قصصه لعلها كانت ردا على نقد « بو » ونظريته فى أدب القصة وبواعثه وأهدافه ٠٠٠ دراسات ص ١٢٧ ــ ٠ وقد ترجم له المازنى « دفن روجر مالفن » وذلك فى « مختارات من القصص الانجليزى » ٠

القصيرة « ورد على پو [١] ، وألف من الكلمتين « قصة » و « قصـيرة » اصطلاحا واحدا يعنى ضربا معينا Short-Story [٢] . وكان الالمان يفضلون كلمة Novellen ، وقـد تركوا آثارهم فى القصص القصـيرة الاولى مما كتب فى القرن التاسع عشر .

ويستعمل الفرنسيون كلمة Nouvelle هذه دون أن يشـير الى أصل ألمانى فى الاستعمال [٣] وهم يذكرونها ـ مثلا ـ عند الكلام على آثار مريمه Mérimee [٤] وموبسان Maupassant [٥] ، وكانو

(١) تنظر دائرة المعارف البريطانية مادة Short-Story .

(٢) قاموس المصطلحات الادبية مادة Short-Story .

(٣) ألح على هذا الاصل قاموس المصطلحات .

(٤) ولد بروسبر مريمه Prosper Mérimée عـام ١٨٠٣ وتوفى عام ١٨٧٠ ، واشتهرت من قصصه « كارمن » وقد استل منها أكثر من فلم ، ونشرت له دار الكاتب المصرى عام ١٩٤٧ « كولمبا » ، ترجمهـا محمد غلاب . وترجم له محمد شيخ ديب فى كتابه « سبع قصص عالمية » : سقوط الحصن ، والكتاب هو العدد الحادى عشر من سلسلة مناهل الفكر العالمى صدر عام ١٩٥٥ عن دار ابن المقفع بدمشق ، أما العدد الثانى عشر فقد عقد على « فانديتا » . ومن المحتمل أن تجد فى مجلة « الرواية » عددا من قصصه .

(٥) گى دموبسان Guy de Maupassant ولد عـام ١٨٥٠ وتوفى عام ١٨٩٣ ، كانت « الرواية » تترجم من آثاره ، ونشر الزيات فى كتابه « من الادب الفرنسى » احدى عشرة اقصوصة وقد طبع هذا الكتاب فى القاهرة عام ١٩٤٠ ثم اعيد طبعه عام ١٩٥٢ . وترجم له أميل خليل بيدس « مختارات ... » ، ولا تخلو مجموعة من القصص العالمية من أثر أو أكثر من آثاره .

ينظر عن موبسان كتاب هنرى ودانا توماس : « أعـلام القصة =

ـ وما زالوا ـ يقصدون ـ أول ما يقصدون ـ الى قصة وسط فى الطول ، ثم هـم بعـد ذلك مضطربون فى الاستعمال والدلالة ، ويمكننا أن نستغل هـذا الاضطراب ونعد مريمه وموبسان من كتاب الاقصوصة Conteurs مهما طالت كتاباتهم لاننا نريد أن نحتفظ بالـ Nouvelle لمسمى آخر هو القصة القصيرة •

وقد حاول مارك بلانپين أن يخرج مريمه من الـ Conte الى الـ Nouvelle ـ ولم يكن فى ذلك الاول • ولكنك اذا قرأت الصفات التى اشترطها للنوفل وقرأت آثار مريمه او الصفات التى ذكرها هذاالناقد لآثار مريمه ، رأيت اختلافا ، ورأيت أن مريمه تتمة لخط طويل من الاقصوصيين واذا كانت هذه الاقصوصة قد خطت على يديه خطوة نحو الكمال وقليلا نحو القصة القصيرة ••• فلا بأس بعد ذلك من أن يكون مكانه من تأريخ القصة القصيرة الفرنسيـة مكان مـدام دلافايت (١٦٣٤ ـ ١٦٩٣) من القصة الطويلة[١] •

ويفهم من كلام الناقد المذكور أن القصة القصيرة Nouvelle ممـا يمكن أن يصدق ، وأن لها لون الحياة وطعمها وانها لا تقول كل شيء او تقرر النتائج كما تفعل الحكاية Conte وأنها عندما تنتهى لا ينتهى معهـا

= الغربية » وقد نقله الى العربية يوسف عبدالمسيح ثروة وصدر عن دار الرواد بدمشق ، وترجم ونشـر فى سـلسلة الـ ١٠٠٠ كتـاب بعنوان « أعلام الفن القصصى » •

(١) ولا يعنى ذلك الناحية النفسية من القصـة ، لان أقاصيص مريمه خلو منها (تقرأ مقدمة طبعة Pléade) •

سير الحياة ثم انها لا تعلم ولا تربى ، واذا علمت ، فعلى طريقة القصة الطويلة أى بعرضها مشاهد الناس وعواطفهم وأحداثهم - من دون تصريح بالمعنى(١) .

واذا كانت هذه الصفات قد وجدت فعلا عند مريمه ، فانها ليست كل ميزات القصة القصيرة ، وليست أهمها ، واننا نستطيع أن نخرج مريمه عن القصة القصيرة الى الاقصوصة بالحجة التى أدخله بها بلانپان نفسها ، فقد جاء فى كلمته : أن كاتب القصة القصيرة Nouvelle يقف على الساحل وبيده الشص والشبكة وينحنى على المياه وعلى ملتطم الامواج أحيانا - ولكنه على الساحل ، عليه . بينما يلقى كاتب القصة الطويلة بنفسه فى صميم المجرى مثل سباح ماهر يغشيه الموج وقد يلطمه المجرى أو يدفعه أو يجرفه(٢) . وهى تفرقة جميلة على أن تكون بين كاتب الـ Conte فى الاقصوصة من جهة وبين القصة الطويلة الحديثة Roman او القصة القصيرة الحديثة من جهة اخرى لان رجل الساحل كاتب اقصوصة - ومثله مريمه الـ Conteur اما كاتب القصة القصيرة Nouvellist (٣)

---

(١) كتب مارك بلانپان Marc Blancpain هذا الذى نذكره عنه فى مقدمته للطبعة التى صدرت عام ١٩٥٣ لمجموعة من Nouvelles مريمه عن دار Hachette فى مجموعة Flambeau .

(٢) لعل بلانپان قد أخذ التشبيه عن تيبوده Albert Thibaudet — Histoire de la Littérature Française de 1780 à nos jours, Paris (Stock), 1936 P.211 وقد كان بيير رشار أكثر أمانة اذ نص على تيبوده وهو يقدم للمختارات التى نشرتها Classique Larousse عام ١٩٣٨ كما ذكر مصادر اخرى لا يستغنى عنها من يريد التأليف فى الـ Nouvelle الفرنسية .

(٣) كاتب الـ Nouvelle وهى بالانكليزية Short Story

فأكثر منه ، انه ـ مثل كاتب القصة الطويلة ـ يلقى بنفسه فى صميم المجرى وكل فرقه عن هذا الاخير أنه يكتفى من هذا الخضم الزخار بدفعة واحدة؛ دفعة واحدة ويبقى التيار بعده يجرى ويجرف أصحاب القصة الطويلة •

ذلك أن القصة القصيرة موجة من خضم الحياة الراهنة وقطعة من المجتمع الصاخب ، وهى تجربة صغيرة أو جزء من تجربة كبيرة فيهـــا صفحة من النفس الانسانية ، النفس الانسانية ؟ لان الجانب النفسى مهم جدا فى القصة القصيرة بالمعنى الدقيق ـ وهو مهم ، أهميته فى القصـة الطويلة الحديثة ، وكل الفرق بين الاثنين أنه فى القصـيرة يمثل طورا واحدا من أطوار النفس • والعناية بالامور النفسية تقلل شأن الحادثة وتقلل من مكانها الذى تحتله فى الحكاية • كما ان القصة القصيرة الحق اكثر جدا واكثر صلة بالمجتمع وواقع الانسان فى مجتمعه مما يهبها القوة والحياة ويبعد بها عن أن تكون هيكلا عظميا Squellettes يلعب به ذكاء الكاتب ويعبث وهمه • لئن كانت القصة الطويلة الحديثة جسما فان القصة القصيرة الحديثة عضو حى من هذا الجسم : انها قلب تارة وعين تارة ••• ومعدة تارة اخرى ••

فأين من هذا أقاصيص مريمه ـ رجل الساحل المتفرج • اين خضم الحياة ؟ وأين أطوار النفس (١) • انه لمن الصعب أن تجد للقصة القصيرة

---

(١) من أبرز صفات أقاصيص مريمه ضعف الجانب النفسى ، وفى مقدمة مهمة للمجموعة التى صدرت فى سلسلة Pléade دراســة قيمة لهذه الاقاصيص ، ونص على هــذه الناحية ، وقد تشير هـذه المقدمة الى اقصوصة نفســية ! ولكنك تقرأهــا فلا تجـد الحـكم قاطعـا ولا تجـد النفس حية •

بالمفهوم الصحيح ممثلا عند الفرنسيين ، وانهم يتعبون اذ يعملون على تحديدها فى ضوء انتاجهم ولا ولن يبلغوا صميم الحقيقة ولا ولن يجدوا ما يقولون فيها ما لم يخرجوا عن دائرتهم الضيقة الى انطون تشيكوف (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤) حيث يجدونها على أحسن ما يكون فيجدون سعة القول ومجالا للاجادة .

وشىء آخر يجب أن نعلمه من أمر القصة القصيرة الناجحة هو أنها ليست قصة طويلة مقصرة مركزة لان الحياة شرط فى الاثر الادبى وشروط فى القصة القصيرة ، اما انك اذا لجأت الى قصة طويلة واختصرتها فى صفحات معدودات فانك افقدتها الحياة وجعلتها هيكلا عظميا بلا لحم ولا دم[(١)] .

ان هذا التطور الذى أصاب القصة القصيرة فى القرن التاسع عشر هو التطور الذى أصاب القصة الطويلة Roman (وفى الانكليزية Novel ـ وان كانت بوادر التطورفى القصة الطويلة أقدم، فكانت ـ عند الفرنسيين ـ الاميرة دكليف وأدولف ومانون لسكو ... حتى اذا بلغت القرن التاسع عشر ـ أو نصفه الثانى ـ ان أردت الدقة ـ لقيت كتابا كبارا مثل فلوبير وبالزاك وستندال[(٢)] .

---

(١) وقد انتبه محمود تيمور الى ذلك وهو ينقد الاقصوصة المصرية ص ٤٧ من كتابه فن القصص ط ٢ سنة ١٩٤٨ ، وينظر له « دراسات فى القصة والمسرح » القاهرة ١٩٥٧ ، وانتبه اليها كذلك عبدالحميد جودة السحار فى مقدمته لهمزات الشياطين . القاهرة ١٩٤٦ .

(٢) وهناك ضرب آخر من القصص هو الـ Récit ولك أن تسميه « القص » أو « القصة » بفتح الصاد ، ذلك لانه لايلتزم قواعد القصة ، انه =

ونعود هنا ، لنقول ان هذا القصص لا يمكن أن يستغنى عن الخيال أبدا ، ولا ولن تجد قصة ناجحة من دون خيال ، ولكنه الخيـال الذى يؤلف بين أجزاء الحقيقة ، والذى يخدعك عن نفسك فيريك حقا ما ترى وتقرأ ــ وما هو فى كل اجزائه بذلك .

على أن كلمة Roman هذه لم تكن فى الاصل على هذا المفهوم ذى الصلة القوية بالجد والواقع والنفس والمجتمع ... انما نشـأت ــ اول ما نشأت فى مدلولها القصصى ــ فى أحضان الحكايات (١) .

وهكذا تتداخل الاشكال ويصعب التميز بينها ، ولا يكفى الطول ولا القصر دليلا فى الحكم على النوع ، ان زديگ فولتير (٢) لا يمكن أن تكون قصة طويلة أو قصيرة انما هى Conte من طراز الاقصوصة وانك لترى فيها جفافا وخيالا ذكيا ، وتحس أن المؤلف يسحب كما يريد خيوط « قراقوزه » ويحل عقده كما يشاء (٣) « كأن لم تكن هناك حكومة » .

= عرض وسرد ، ان فيه من القصيرة شيئا ومن الطويلة شيئا دون أن يكون قصة بالمعنى الرسمى ، ولئن كانت آثاره بعيدة فان الحديث منه يتصل بالواقع وفيه تحليل نفسى ، ومن الناس من يستعذبه ويدعو له ويعده من أرقى الالوان ، ولعلك قرأت لاندريه جيد « الباب الضيق » أو « مدرسة الزوجات » ــ وكلتاهما من مترجمات الكاتب المصرى . وقد قيل ان جيد لم يكتب ــ على كثرة ما كتب ــ الا قصة واحدة هى « مزيفو العملة » أما الباقى وهو كثير وعديد فقص . ومن الـ Récit فى العربيـة : الايام وعلى هامش السيرة وزهرة العمر ...

(١) ينظر ــ مثلا Vincent .

(٢) ترجمهـا طه حسين فى العدد ٢٣ (اغسطس ١٩٤٧) من المجلد ٦ من مجلة « الكاتب المصرى » .

(٣) ينظر بلانيـان فى مقدمتـه على اقاصيص مريمه طبعـة هاشت ، ص ٨ .

كما أن الطول الخارق الذى تتمتع به « بائسو فيكتور هيكو » لم يجعل منها قصة طويلة أو قصيرة ـ انما هى اقصوصة طويلة أيضا . ولهذا رأيت من الكتاب الانكليزمن يذكر «القصة القصيرة الطويلة Long Short-Story ويذكر من أمثلتها The Turn of the Screw by Henry James وقد بلغت ٤٠،٠٠٠ كلمة ويذكر

Stevenson's Dr. Jekylle and Mr. Hyde

ويذكر

The man without a country

وقد بذلت الجهود وما زالت تبذل فى سبيل تحديد هـذه المسميات Récit ' Roman ' Nouvelle ' Conte ومـا يقابلها فى اللغات الاخرى ، وقد بلغتك محاولة «بو» كما تكلم موبسان على ال Roman (١) ولا تكاد تجد قاموسا حديثا أو كتابا في تاريخ الادب يغفل هذه المحاولة ، وربما كانت محاولة أندره موروا أحدث هذه المحاولات ، وعلى ما هو عليه موروا فى النقد والقصص ، لم يستطع أن يهتدى فى « حواره » الى تحديد واضح يدل على أن الفروق واضحة فى نفسه(٢) .

فى كثير من هذه المحاولات شيء من العبث ، لان التحديد غير ممكن، وانك ما تكاد تفتح كتابا يبحث فى فن القصة حتى يطالعك بـ « من الصعب تحديد القصة » (٣) . والمحاولات هى أعمال نقاد أكثر منها أعمال منشئين

(١) فى مقدمة قصته Pierre et Jean وذلك فى أيلول ١٨٨٥ .

(٢) ١٨ تمـوز ١٩٥٧ مـن « مجـلة » Les Nouvelles Littérares وفى العربية حاول محمود تيمور التحديد وذلك فى مقاله « فن القصص » ينظر كتابه « فن القصص » ط ٢ القاهرة ١٩٤٨ أو كتابه « دراسات فى القصة والمسرح » ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

(٣) Jean Pouillon — Temps et Roman; Paris (Gallimard) 1946.

أو قارئين لان المهم فى الامر هو الاجـادة • وليكن بعـد ذلك ، الحجم ما يكون ، وليكن الطابع الغالب الجد أو الهزل أو الخيال ••• أو ••• ما يكون • ولهذه الاجادة شروط عديدة يمليها النقاد فى العرض والعقدة والحل ، وفى التسلسل بالاحداث وفى رسم الاشخاص والمناظر ، وفى التحليل النفسى وفى صلة الحادثة برغبات القارىء القريبة والبعيدة ومدى اعرابها عن مشاعر انسانية عامة •• ثم فى اللغة والاسلوب ، وهم يقدمون للقراء ولمن يعجبهم أن يكونوا قصاصين « وصفة » طويلة من الادوية : أولا ـ ثانيا ـ ثالثا ـ الخ ويطلبون اليهم أن يشربوا هذا فى الصباح ، قبل الفطور وذاك بعد الغداء بنصف ساعة ، أما الاقراص فقبل النوم بدقيقتين فقط » •

ونحن لا ننكر جدوى هذه الوصفات ، ولكننا ننكر على الناس ، ولا سيما على الناشئين من العراقيين ، هذه العناية الزائدة التى يخصون بها شيئا خارجا عن طبيعة الاشياء • وننكر عليهم أنهم يقرأونها للتبجح المزيف وللخلط بين الوسيلة والغاية ولا تجدهم يقرأونهـا للعلم بالشىء والاستفادة من الممكن • انهـم ما زالوا ـ أو ما زال الـكثير منهم ـ يعتقدون أن درس النقد الادبى يعلم الطالب كيف يكون قصاصا ـ مثلا !

القصة ـ شأن كل لون انشائى فنى ـ تقوم على موهبة خاصة لدى المرء فى السرد والوصف والملاحظة ••• والخلق والتحليل والتخيل •• وأول ما يقوّم هذه الموهبة قراءتك للآثار القصصية الخالدة ، ثم محاولتك الكتابة ، وهنـا تتكشف لك نفســك وتكتشف نفسك وتميز شخصيتك وأصالتك وتعلم أن للقصة القصيرة فنا ـ أو سرا ان شئت ، له صلته بالبناء وطريقة السرد ولو كانت من غير فن ومزايا خاصة أجـاد فيهاـ كل ناعق ولحسبنا الكثير مما نقرأ على أنه قصص ، قصصا ـ وهيهات •

انما نريد أن نقول ان من أوهام الشباب ايضا تفضيلهم القصة الطويلة على القصيرة ، وان الكاتب منهم ما يكاد يشق طريقا فى القصة القصيرة حتى يبدأ يحلم بالطويلة ، وقد يزج نفسه فيما لا يجيد وما لا يتهيأ له • وليس هذا الوهم وهما عراقيا حسب انما هو وهم أوربى ايضا وطالما ذمه النقاد الفرنسيون ــ مثلا •

لا ، ليس المهم أن تكتب قصيرة أو طويلة انما المهم ــ كما هو المعقول ــ أن تجيد ، أو انك تكتشف نفسك فتعمل على دعم مجالى شخصيتك ومنافذ تفوقك • وأعجب منك ذلك الذى زاول القصة وتقدم فيها تقدما ملحوظا ، ولكنه لم يلبث حتى جرفه تيار خاطىء صور اليه أن النقد أفضل من القصة وأنه ذو المكانة الاولى فى الادب ، لان الناقد هو الموجه والقائد ، أما القصاص فهو الموجه (بفتح الجيم) والتابع وهكذا ضيع صاحبنا المشيتين ــ كما الغراب • أرجو أن تكون أعرف بنفسك من سواك وأكثر ثقة بها فيما تريد وتدبر ولا تهمك بعد ذلك « المودات » التى تشيع على أساس وعلى غير أساس • ان القصة مهمة ، والشعر مهم والنقد مهم ايضا ، ولكل صاحب ، فدونك واياك •

ان للقصة الطويلة أعلاما فى مغارب الارض ومشارقها ولك أن تذكر دستوفسكى وديكنز وستندال وبلزاك ••• الخ • وتستطيع أن تعد العشرة والعشرات فى كل أمة ، فكم هم الكبار فى القصة القصيرة ؟ مهما « تساهلت وتساهلنا » لم نستطع أن نزيد على اصابع اليد : تشيكوف فى ، أو على رأس هذه النخبة المختارة فقد تهيأ لهذا الرجل من المواهب ما لم يتهيأ لسواه ، انك ما تكاد تقرأ له الصفحة والصفحتين حتى تستعظمه اذ تجد نفسك ازاء جبار يعرف كيف يخلق من توافه الاحداث اليومية وتوافه الخلق البشرى

آثارا رائعة يعجب بها كل قارىء أيا كان جنسه وأية كانت نحلته .

ومن الأسرار الظاهرة لتفوقه : مفهومه لبنــاء القصة ، ومهارته في العرض وقدرته على اختيار الموقف الضيق ذى الدلالة الواســعة والطابع الاجتماعى والأثر النفسى مما يجد فيه القارىء شيئا من نفسه وقرابة لها ، فيبقى أثر هــذه الصفحات القصار التى تقرأهــا يلازمك أشهرا ثم سنين ولا ولن تنســاه . ان في كل صفحة غذاء العمر الطويل . ومن اســرار النجــاح ، قرب الـكاتب من قلوب القــراء وعطفــه على آلام الآخرين وحبـــه لهـــم (١) ثم ما يثيره في نفس القــارىء من عطف وعجب من النفس البشــرية (٢) .

ان أدب تشيكوف نبض حى من الحيــاة ، تحركه كل الدماء التى تجرى في شرايينها وأوردتها ، حتى قال الكاتب الـكاثوليكى دانيل روب بأنه لم يكن معنيا ببلوغ الحقيقة لما تنعكس على المرآة ، انما كان همه أن

---

(١) تنظر مقالة Virginia Woolf عن القصة الحديثة فى كتاب English Critical Essays selected by Phyllis M. Jones, oxford university press, وقد اختــار المقالة ونقلهــا الى العربية رشاد رشدى فى كتابه « مختــارات من النقد الادبى المعــاصر ، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ، كما نقلها يوسف عبدالمسيح ثروة فى كتابه « فن الادب » ، دار الكاتب العربى ، بيروت . ومما يذكر انها كتبت مقالتها هــذه عام ١٩٢٥ .

(٢) مــادة « القصة القصــيرة » فى :
Oxford Junior Encyclopaedia, vol. XII, 1954

يعرضهـا كما هى [١] . بل ان القصاص نفسه « كان ... يقول للكتاب الناشئين : لا يجوز للكاتب أن يجلس بين أربعة جدران ، وأن يستولد المواضيع من ذاته ، بل عليه أن يرى الحياة والناس ويلمسهما ، وعليه أن يستمع الى احاديث القوم كما هى ، لا كما يتخيلها ، وأن يسعى دائما الى الاسفار والاحتكاك بمختلف العناصر والشعوب ، ونصح الكاتب مرة أحدهم بقوله : سافر الى اليابان ... سافر الى استراليا ... أجل تخط حدود بلادك الى اوربا حتى اذا عدت شعرت بأنك تقف على تربة آسيوية !.. وبعد ذلك ارجع الى منزلك ... وانت تحمل الشىء الكثير من المواد والمعلومات ، بل الكثير من القصص !.. ونصيحتى اليك ألا تجلس فى القطار الذى تسافر فيه الا فى عربات الدرجة الثالثة [٢] ... » .

واذا اضطربت القيم وتلاطمت التيارات عن يمين وشمال وراح اصحاب الآراء والنظريات والفلسفات يملون على الادباء أن يفعلوا كذا ، ويقولوا كذا .. وقف تشيكوف ثابتا يمتحن الموقف ولا يستجيب لغير نفسه فلم يقبل كل شائعة ولم يتبع كل ذائعة [٣] . والفن ما نبع فى نفسك

---

(١) مما يفهم من المقدمة التى كتبها (Daniel — Rops) عام ١٩٤٦ لمجموعة ضمت ستا من قصصه بعنوان Le Moine noir وقد ترجمها الى الفرنسية Gabriel Arout وصدرت فى باريس عن مطابع Flore .

(٢) عن ص ٣٢ـ٣٣ من الكتاب الذى ألفه نجاتى صدقى عن الاديب ونشرته دار المعارف بمصر عام ١٩٤٧ فى العدد الـ ٥٠ من سلسلة اقرأ .

(٣) قرأت مثل هذا فى كتاب عقد على الاديب ألفته بالفرنسية كاتبة لا يحضرنى اسمها .

بفعل الحيـاة ولم يكن استجابة للامر والنهى والطمع الرخيص بالشهرة وارضاء القارىء أو الناقد ، وما ينبع عن الحياة يبقى حيا حتى بعـد زوال المظهر الذى أوحاه ، ويرى الخلف فى هذا المظهر الذى أجـاد السلف وصفه متعة هى متعتنا بالتاريخ القديم تراه بعينك ، ثم ان هذا الذى توحيه الحياة ينطوى حتما على عناصر الوجود وجوهر البشر ، وهذه هى هى على اختلاف الزمان والمكان •

ان حياة هذا الاديب على قصرها (١٨٦٠ـ١٩٠٤) مليئة بالتجارب التى عاناها فى نفسه وفى مجتمعه بين الفقر والامراض والآلام النفسية دون أن يجره شيء من ذلك الى اللؤم واخلاق اللؤماء ، انما ظل كريما طيبا يحب الطيبين • واذا كانت الكآبة من الصفات التى تسود قصصه ، واذا كانت هذه الكآبة تقرب أحيانا من اليأس ، فانك لتلمح بأن هـذه الكآبة مما يهذب الطبع وينبه الضمائر من غفوتها أو غفلتها ، ونلاحظ ـ كما لاحظ دانيل روب أن « يأسه ليس مغلوقا على نفسه أو مستقطبا على هوة ذاته ، ولكنه مفتوح عن شيء أكثر تأسيا ومتجه نحو هدف » •

واذا علمت أنه كان طبيبا يداوى النـاس عرفت كيف أن الموهبـة الصادقة تشق طريقها ، وعرفت كيف انها تستغل كل شيء فى سبيل ظهورها ونبوغها • واذا علمت أن القصة القصيرة لم تكن محترمة يوم بدأ يكتبها ، عرفت كيف تتحدى الموهبة الصادقة المألوف وتفرض نفسها على الانسان والتاريخ • حدث فى خريف سنة ١٩٠٢ أن زاره فى بيته ـ وهو مريض ـ جماعة من الادباء فكان مما قاله لهم : « انكم محظوظون يا كتـاب اليوم ، فالناس يخلعون عليكم آيات الثناء على ما تقدمونه لهم من قصص قصيرة • أما أنا فقد مر بى زمن كان الناس فيه ينهالون علىّ بالشتائم لاننى أكتب

القصة !•• لانهم كانوا يعتقدون أن الكاتب لا يكون موضع الاحترام والاعتراف بالجميل الا اذا وضع رواية كبيرة !•• غير انني بينت عقم هذه الفكرة وخرقت الحائط بجبيني من اجل القصص القصيرة[١] » •

وهكذا كانت آثار تشيكوف هي المثل الأعلى للقصة القصيرة أما سواها فقد ظلت حكايات أو بقايا حكايات ـ أو اقاصيص ـ ان شئت • ولهذا رأيتني احدثك عنه اذ لا مفر من ذكره ، وكل حديث عن القصة القصيرة لا يعنى به كان ضربا من العبث واضاعة الوقت[٢] •

اقرأه في أية لغة تعرفها ، الانكليزية ، الفرنسية ، الالمانية ••• وحتى العربية[٣] ، ولا شك في أنك ستواصل ثم يتكون لديك المفهوم الصحيح للقصة القصيرة الحديثة الناجحة ثم حاول الكتابة وستجد نفسك وتجد منهجك الخاص •

ان هذا الرجل الذي أبدع هذا الابداع في القصص القصيرة ، والقصيرة جدا ، لم يحاول أن يكتب قصة طويلة شأن معاصريه ، وانه حين حاول أن يخرج عن العدد المحدود ، المحدود من الصفحات ••• الى العشرات لم ينجح كما يجب ، وربما جاءت قصته شبه الطويلة أشبه بمجموعة من قصص قصار ـ أقرأت له « القاعة رقم ٦ » ـ مثلا ؟

---

(١) نجاتي صدقي في العدد الـ ٥٠ من اقرأ ص ٤٤ـ٤٥ •

(٢) العبارة مستوحاة من كلمة Virgenia Woolf •

(٣) ترجمت مجلة « الرواية » التي كان يصدرها الزيات عددا من قصصه ، وألحق نجاتي صدقي طائفة من القصص في العدد الـ ٥٠ من اقرأ ، وشرعت دار اليقظة العربية بترجمة أعماله الكاملة وأصدرت الجزء الاول والجزء الثاني •

ولم يكن تشيكوف فى ذلك بدعا ، فمن قبله كتب موبسان أكثر من قصة طويلة (لعلها ثمان) ولكن هل قرأت له « حياة » مثلا ؟ انهـا لفيف مفروق من عدة حكايات . ويظهر أن شيئا من هـذا الذى يلاحظه قارىء موبسان اليوم قد لاحظه قارئه أمس ، وربما آذى موبسان ذلك وأثاره ، ولعله كان الباعث لثورته على النقاد : « لست الوحيد الذى وجه اليه نفس النقد ونفس السبب كلما ظهر له كتاب جديد ... ان أكبر عيوب هـذا الكتاب هو انه ليس قصة بالمعنى الصحيح ... واسـتطيع أن أرد عليهم بالحجة عينها : « ان أكبر عيوب الكاتب الذى يشـرفنى بالحكم عليه هو أنه ليس ناقدا (١) » .

كانت لگي دموبسان دولة ، وما زالت قائمة خارج فرنسة ، وكان من أمانى تشيكوف أن يكتب مثل موبسان ، ولكنه لحسن حظه لم يكن موبسان ثانيا ، اذن لاصابه ما بدأ يصيب موبسان من اعياء واملال وانصراف النفس عنه وعن فنه الذى يغلب عليه الاصطناع والافتعال ، ويعتمد غرابة الاحداث وغرابة الاطوار وعنـاصر المفاجأة ومغريات الشـهوة وألعـاب الذهن . وقلما عاش لموبسان أثر فى نفس قارئه . انك تشعر وأنت تقرأ موبسان أنه مشـدود الى عصره والى مكان بعينه وأنه لا يملك القوة التى يغزو بها كل نفس وكل زمان ومكان .

ومن عجيب ما يراه دارس موبسان أن قصص الرجـل مقروءة عند الاجانب أكثر مما هى مقروءة عند الفرنسيين أنفسهم . وفى الوقت الذى احتفلت امريكا بمناسبة مرور مئة عام على ولادة موبسان ، لم يعن الفرنسيون

(١) من مقدمـة Jean et Pierre .

بذلك وقد أبدى كثير من نقادهم استغرابه لعناية العالم بموبسان وربما وجد بينهم من سخر منه ومن فنه وأنكر عليه عناصر البقاء والخلود .

ويظهر أن الفرنسيين يقرأون قصص موبسان الطويلة أكثر من قراءتهم أقاصيصه . ويعلل بعضهم هذه الظاهرة ـ ازاء موبسان أو ازاء القصة القصيرة اطلاقا ـ بأن القصة القصيرة لا تنسجم ومزاج القارىء الفرنسى . ولا يعنى هذا ـ على أى حال ـ أن الفرنسيين لم يكتبوا القصة القصيرة ـ أو لا يكتبون . وبالامكان عد العشرة والعشرات من الاسماء ، ولكن على غير جدوى ، لان الذى يكتب يذهب مع الريح ، ولانك قلما تجد كاتبا كبيرا يزاولها على انها فنه الاول . وقد وضعوا اخيرا جائزة للقصة القصيرة وقد نالها جان جاك كوتيه ولكنك تفتح كتابه وتقرأ مقدمته فتعلم أنه بدأ الكتابة مبكرا وأن هذه القصص من آثار شبابه وأنه كتبها لان الحكايات القصار لا تستدعى جهدا كبيرا متصلا[١] .

وحاول آخرون ممن عرف بالقصة الطويلة أن يكتبوا القصيرة ، ومن هؤلاء ستندال ، ولكن قصصه القصيرة ليست شيئا ، ولم يستطع أن يعلو بها درجة مناسبة ، ولو لم تكن هذه القصص من عمل مؤلف « الاحمر والاسود » لما سمع بها أحد ولما عنى بها أحد . وقريب من أمر ستندال أمر « بلزاك » . ومن الصعب أن تبلغ أقاصيص فلوبير الثلاث ـ مهما وجدت من معجبين ـ مبلغ مدام بوفارى ـ مثلا .

وقد تنبه الى هذه الظاهرة كاتب مقالة القصة القصيرة فى دائرة المعارف البريطانية (ط ١٦) ، ولكنه ذكر أن Scott's Wandering Willie's Tales and Dickens' Achils' Dream of a Star

---

(١) Jean Jacques Gautier — Vous aurey de mes Nouvelles, Paris, Julliard, 1957.

أمثلة بارزة على الشـذوذ لهـذه القاعدة • ثم ذكر عـددا من الادباء من أساتذة القصة القصيرة لم يكتبوا طويلة : بو ، موبسان ، برت هيارت ، جى• دبليو كايل ، أو هنرى •

وقال كاتب « القصة القصيرة » فى دائرة معارف اكسفورد : لا يوجد فى القصة القصيرة كاتب انكليزى له من التفوق ما لاستاذى الفن العظيمين : موبسان وتشيكوف ، انما يوجد عدد كبير من القصص القصيرة فى مختلف الاشـكال مثل حكايات كبلنج وكانون دويل ، اج•جى• ويلز وكاترين ماتسفلد وكوبارد ؛ وقال انك لا تكاد تجد كاتبـا للقصة الطويلة فى المئة الاخيرة لم يكتب كذلك قصصا قصيرة ، ومن أشـهر هؤلاء الاعلام الذين برزوا فى النوعين : كونراد ، روبرت لوسى ، ستيفنسن ، هنرى جيمس ، جيمس جويس ، دى•اج• لورنس •

ان مثل هذا الكاتب مثل ذلك الاستاذ الفرنسى الذى اعترف أن ليس فى أدبه مثل شكسبير فتألم فاستدرك وقال : ولكننا نسـتطيع أن نجمع من هذا الاديب الفرنسى وذاك ما يسـاوى شكسبير ـ وكلا الكاتبين على حظ من العبث •

وقـد علل بول موران (١) تأخر القصـة الانكليزية القصيرة عن الطويلة بأمور منها أن الانكليز يحبون السعة ولا يحبون أن يقرأوا ما بين السطور ، وأنهم بطيئون فى التفكير وفى الفهم ، وأنهم ـ أخيرا ـ لا يعنون

---

(١) Paul Morand فى المقدمة التى كتبها لـ Union Jack وهى مجموعـة من القصص الانكليزيـة القصـيرة صـدرت مترجمـة الى الفرنســية عن Gallimard فى سـلسلة « بعث القصـة القصـيرة » عام ١٩٣٦ ، ط ٣ •

كثيرا بالكيفية التى ينتهى بها أثر أدبى ، وبالمزايا الشكلية لهذا الاثر أو بشدة الأسر .

وحين أشار بول موران هذا ، الى بعث القصة القصيرة فى انكلترا منذ نهاية القرن التاسع عشر ذكر أن الذين ساهموا فى هذا البعث لم يكونوا انكليزا خلصا : فهنرى جيمس فرانكو - اميركى ، وآر.ال. ستيفنسن فرانكو - اكوسى وكونراد انكليزى - سلافى ، وكبلنج انكليزى - هندى . ويكاد بول موران يجرنا الى بحث « القصة القصيرة » ونفسيات الشعوب ولكننا لا نريد أن ندخل فى هذا النقاش لانه طويل .

ونحن اذ نتحدث عن ندرة القصة القصيرة عند الانكليز أو غيرهم انما نعنى ندرة الجيد والخالد ، أما اذا قصدنا الى الكمية ، فما كتب عند جميع الامم - وما يكتب ، كثير وكثير جدا ، وليس من المعقول أن يعدم ما يكتب قراءا ، انما الملاحظ أن هذا الذى يكتب يقرأ مرة واحدة ويرمى كما ترمى الجريدة اليومية ، فكأن الغاية الاولى منه التسلية العابرة ؛ تسلية للمؤلف لانه لا يكتب ما يكتب الا عندما يتعب من عمله الاول وهو يؤلف القصة الطويلة أو المسرحية أو القصيدة ؛ وتسلية للقارىء لانه لا يقرأ ما يقرأ الا فى الفرص القليلة التى تتهيأ له خلال عمله المتصل وذلك فى اوقات الطعام أو الانتقال والسفر ، ومعلوم أن الانسان غير مستعد لان يقرأ قصة طويلة تتطلب انتباها متصلا مستمرا فى مثل هذه الاحوال ، انما يحتاج الى وحدات قصيرة - تنتهى عندما تنتهى فرصة غدائه أو عندما تصل به السيارة الى المحطة التى يسكن فيها .

وما يكتب هكذا ولهذا ، يشجع على مزاولة القصة كل امرىء وامرأة من كان ومن كانت ولا سيما المبتدىء والمبتدئة ، وما كان هذا حاله فقد

عناصر الدوام والبقاء • وأصبحت الجرائد والمجلات عاملا جديدا فى هذه السرعة وفى هذه الكثرة ، ويهم الجريدة أن تملأ صفحاتها بكل سبب ولو أداها ذلك الى تبنى حجة تشـجيع الشـباب وتقوية الاقلام الناشئة وتنمية المواهب الغضة ، والقارىء اليومى يقرأ كل شىء ـ ولا تخلو قصة من طرافة يومية تعبر عندما يعبر اليوم ، ولا يهمه الفن أبدا ، انما المهم الحادثة ولتأت بعد ذلك على هيئة تقرير يقدمه « شرطى » الى « مركزه » •

لقد أصبحت القصة القصيرة بابا دائميا فى الجرائد والمجلات حتى ان « بعض معاهد الصحافة الاميركية والاوروبيـة تقوم بتدريس فن كتابة القصة القصيرة الى جانب تدريسها فن كتـابة المقال الصحفى وغيره من الكتابات الصحفية [1] • وليس من الغلو الشـديد ما روى عن سومرت موم ـ وهو الذى بدأ محاولاته فى القصة القصيرة منذ ١٩٢٦ ـ من أنه يرى أن الفضل الاول فى انتشار الاقاصيص يعود الى المجلات اولا وأخيرا » وأنه يقول « ما من نوع من أنواع الفنون ينتج ما لم يكن هناك طلب له • فلو أن المجلات لم تنشر الاقاصيص لما كانت الاقاصيص تكتب [2] » •

وصحيح أن الصحافة وما تقتضى من افتعال وعجلة و « طلب وعرض » تفسـد الفن فى بعض جوانبـه ، ولكنهـا تكون حافزا للكتـابة ولتصيد الموضوعات المناسبة ، وسببا لتوكيد الصفات الفنية لكاتب من الكتاب ـ فاذا

---

(١) جميل الحسنى فى مقدمة الكتاب الذى ترجمه عام ١٩٥٦ فى سـلسلة الـ ١٠٠٠ كتـاب بعنوان « مختـارات من القصص الانكليزية القصيرة » •

(٢) عن عبدالحميد جودة السـحار فى مقدمتـه التى صدر بهـا مجموعته « همزات الشياطين » •

لقيت موهبة وثقة بالنفس قدمت للعالم قاصا كبيرا ، ألم تكن آثار موبسان وتشيكوف من ثمرات الجرائد والمجلات .

وهكذا نرى أثر الصحافة فى القصة القصيرة سلبا وايجابا ، ونرى مكان القصة القصيرة من نمط حياة العصر المعقدة فنرى بذلك مظهرا من مظاهر اهتمام المعاصرين بها . ومظهر آخر من مظاهر هـذا الاهتمام هو هذه المجاميع من المختـارات : « قصص من موبسان » ... مختارات من القصص العـالمى ... « ٢٠ قصـة من الادب الامريكى » .... الخ . ومظهر آخر هو هذا الاهتمام بالحكايات الشعبية ، ولا يمكنك أن تدخل مكتبة فى الغرب دون أن ترى كتبا وسلاسل بعنوان « حكايات اغريقية .. فارسية .. مغربية ... الخ (١) . كمـا أنك تجد كتبـا اخرى خصص مؤلفوها شطرا من حياتهم لجمع المتناثر هنا وهناك من الحكايات الشفهية . ومن أحـدث هـذه المحاولات ما فعله فى فرنسـا Henri Pourrat فى مجلداته الجادة بعنوان « كنز الحكايات » .

ان فى هذه الحكايات كنوزا ثمينة ، لان فيهـا المظهر الاول للفكر الانسانى ، وفيها المظهر الاول للانسان الفنان ، وما أبدعه الاول عن فطرة وصدق يحفظ الخطوط السائدة للنفس الانسانية ويحتفظ بعناصر البقاء ، ثم ان فيه عنصرا لا نسـتطيع اليوم أن نتوفر عليـه ألا وهو عنصر البسـاطة والسذاجة ، ولا تظن القرن العشرين بحياته المعقدة بمستطيع ذلك ولا

---

(١) وبدأ العرب يفعلون مثل هذا ، وقد مر معنا عدد من المجاميع المترجمة ، ولنذكر هنا سلسلة « قصص مختـارة » التى تصدرهـا « دار بيروت » فكانت فيها قصص مختـارة من الادب الاسكنديناقى ، الفرنسى ، الاسبانى ، الصينى ... الخ .

تظنه بمستغنن عنه لانه يجد فيـه مخلصا من ضيق ما هو فيه ، وتسـلية يخلو بها ـ وجها لوجه ، ازاء جده الاول •

تؤنس هذه الحكايات ـ أول ما تؤنس ـ الاطفـال ، ولهذا كانت موردا عذبا لدور النشر الحديثة تنهل منها وتعب من دون حسيب أو رقيب ولمن عساها تدفع حقوق التأليف ؟ ان أفضل ما تقدمه عوضا عن هـذا الواجب هو هذه العناية الفائقة بالاخراج والتزيين والطبع ••• مما يجد فيه الاطفال متعة وغذاءا ـ وفائدة •

ويخطىء من يظن أن الحكايات للاطفـال فقط ، لانك مهما بلغت من العقل والتعقيد ، تلتذ بقراءتهـا وتجد فيهـا البذرة الاولى للعقـل الفلسفى عند الانسان ـ ان كنت تنشد العقل ، وتجد فيها المتعة الساذجة والخيال الساذج ـ ان كنت تنشد ذلك وتريد الهرب من تعقيـد القرن العشرين وعوامل قلقه (١) •

وتهب الرياح

ونعبر الى الشرق العربى فنقرأ ونترجم ونكتب القصة ـ لاول مرة كما كتبها الغربيون أو من تأثر بهم الغربيون (٢) • وتكون فينا المحاولة تلو المحاولة ، ويظهر بيننا الرائد اثر الرائد ـ وما زلنا فى هذا الدور وان

(١) ولعلنا نتنبه فنعمل شيئا مما عمله الغربيون ، فنحفظ بذلك تراثا انسانيا ونهيء لاطفالنا وشيوخنا ضروبا من المتعة والفائدة • ويكفى أن تكون لقصصنا نفحات من « ألف ليلة وليلة » •••

(٢) ينظر اسماعيل أدهم فى كتابه « توفيق الحكيم » وعبدالعزيز عبدالمجيد فى The Modern Arabic Short Story ومحمد يوسف نجم فى « القصة فى الادب العربى » القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ١٧٢ مثلا •

بدا طويلا ، وليست المسئلة مسألة وقت أو محاولات ... وخطوات الى الامام ، انما هى مسألة تهيؤ الموهبة المناسبة لهذا اللون من ألوان الفن ، اما فى القصة القصيرة فمحاولاتنا أكثر . وقد هال الدكتور طه حسين اقبالنا على القصة فقال : « القصص فن أدبى قيم ممتع ... ولكنه فن من فنون الادب وليس هو الادب كله . فما بال شبابنا يغرون بهذا الفن دون غيره من الفنون . هذه ظاهرة تحتاج الى شيء من الدرس والتفسير... »(١)

وعالج العراقيون القصة ، وولعوا بالقصيرة منها ، وكان لهم بين الحين والحين شيء يقرأ ، ولكنه بداية البداية . والمؤسف فى هذا الباب هو أن الذين زاولوا هذا الضرب ــ على كثرتهم ــ لم يبدأوه كما يجب ، أو بمعنى أدق لم ينهوه كما يجب . ذلك أنهم بين مراهق مغرور ما أسرع ما يتهادى؛ وشيخ جامد لم تواته المطاوعة الفنية ؛ و « مصلح صغير » يحمل هذا المخلوق الضعيف مالا يطيق من نظريات وآراء غريبة على طبيعة الحوادث وغريبة على « تربية » الكاتبين وأمزجتهم وطراز معاشهم ؛ وبين مقلدين أعجبوا بهذا أو ذاك من أساليب كتاب الغرب فراحوا يذيبون شخصياتهم وهم يمسخون ؛ وبدأ آخرون بداية حسنة ثم غيروا رأيهم فى اللون الفكرى الذى « يجب » أن يعرفوا به .

اننا لا نريد أن نتشاءم ، ولا سيما بعد أن قرأنا اكثر من قصة جيدة لا يمكن أن تكون قد جاءت عفوا دون مؤهلات فطرية ومقومات مكتسبة ، أقرأت « عهد جديد » و « مجرمون طيبون » و « غثيان » ، انما الذى نرجوه مخلصين ان يكثر هؤلاء من مطالعة الآثار القصصية العالمية وأن يزيدوا من

(١) من مقدمة لكتاب « ألوان من القصة المصرية » ، القاهرة (دار النديم) ١٩٥٦ .

تجاربهم ويوسعوا من أفق حياتهم ، وأن يؤمنوا بقيمة ما هم فيه من قراءة وكتابة دون أن ينسوا أنهم انما يكتبون باللغة العربية وأن لهذه اللغــة حقوقها عليهم ... حتى اذا عرفوا ذلك وعرفوا صلاحهم ساروا عـلى هدى ذاتهم غير ملتفتين الى هذا أو ذاك ، وعلى غير محاباة أو خوف او تقليد . اننا نعتز بشبابنا المبدع ويشــرفنا أن تكون لنا منهم مجموعة طيبة نباهى بها الامم ونقدمهم ليدخلوا فى تاريخ الادب العالمى ويحتلوا بقصصهم مكانا من كتب المختارات .

وأرادت « المعلم الجديد » أن تسهم بحظ فى خدمة القارىء العربى، والمنشىء العربى فرأت أن تهدى اليهم مجموعة من القصص المترجمة ، علهم يجدون فيها ما يفيدهم ويمتعهم ويفتح أمامهم مناهج الكتابة ويهىء لهم حوافزها ــ وهى اذ فكرت بهذا المشروع الصغير ، فضلت أن تتجنب ــ ما أمكن ــ الكتاب المعروفين جدا لانها تؤمن أن بين من نهمل العناية بهم مواهب جديرة بالتقدير والتنويه ، وفى هذه المواهب ما ينوع للقارىء الاساليب ويغير الطعوم . وكانت « المعلم الجديد » تود لو ساعدتها «ميزانيتها» وساعدها المترجمون فتوسعت بالهدية الى أضعاف حجمها ــ ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله . وطبيعى أن الترجمة المباشرة من اللغة نفسها خير من سواها ، ولكن « المعلم الجديد » على قاعدتها فيما لا يدرك كله .. رضيت لنفسها عند صعوبة توفر هذا الشرط ، أن تترجم من اليابانية أو الايطالية عن لغــة اخرى ، بينمـا اقتصرت فى الترجمة المبـاشـرة عـلى الانكليزية والفرنسية والالمانية .

فى قصة « الذئب »

طفلتان يكثر أبواهما من تخويفهما الذئب ، ولكن ، ما يكاد هذان

الابوان يبتعـدان حتى تفتـح الطفلتـان الباب فيدخـل الذئب ويلعبـون ويمرحون • اختبأ الذئب ، ودافعتا عنه ، وكذبتا عـلى أبويهما من أجله -- كثيرا ، وبأسلوبهما الطفلى • ـ والطفل مصمم فى نفسه على أن يكون خيّـرا ، وبدأ يعتقد ذلك « واطمأن الى أنه أصبح فجأة خيرا ، خيرا جدا » وحين عاد للمرة الثانية ولعبوا حافظ على ذلك طويلا ، ولكنه لم يلبث ان عاد الى ذئبيته ، فالتهم الصغيرتين وأكد قول الوالدين من أن الذئب يبقى ذئبـا •

كان من الممكن أن تنتهى القصة ـ أو بمعنى أدق الحكاية ـ بهذه المأساة • ولكن عددا غير قليل من الكتاب يميلون الى الخاتمات المبهجـة ولا سيما فى قصص الاطفال • ولهذا شق الابوان بطن الذئب وأنقذا الصغيرتين • ومن الممكن جدا أن تكون هذه نهاية ناجحـة لانهـا تهىء للطفلتين تجربة فى ضرورة الحذر واطاعة الوالدين ، كما أنها تلقى على الذئب ما يستحق من عقوبات • ومع هذا ، لم يشأ مارسل ايمه الوقوف هنا ، « فالتمست الطفلتان من أبويهما أن يطلقاه •• واستجاب الابوان وخاطا بطنه خياطة محكمة • » ولعله يريد بذلك أن يشير الى أن الذئب قد فعل ما فعل بحسن نية او بدافع هو أقوى منه لانه من طبيعته التى لم يستطع أن يقهرها التطبع ، أو انه أراد أن يجعل الاحسان نوعا من العقوبة ـ وهكذا كان فى القصة وليس فى الواقع •

كل ما فى القصة ـ غير مجال مناقشة الخاتمة ـ بارع ، يدل على شدة ملاحظة المؤلف • وكانت الطفلتان نموذجيتين فى السذاجة والعناد والاعتداد بالرأى ، وما أجملهما وهما يتحاوران بصدد فتح الباب للذئب • وما أشد سذاجتهما فى ذلك وفى حوارهما مع الابوين • والذئب ، ذئب

خاص ، خير أو يريد أن يكون خيرا ، هو خاص ولكنه منسجم مع الاطفال ومع سير القصة حتى انك لا تشك كثيرا فى امكان وجود أمثاله • وهنا براعة جديدة لمارسل ايمه اذ خلق هذا الذئب الذى يتحدث ويناقش ويتهدد حينا ويستعطف حينا ثم هو يلعب ويأنس باللعب ولكنه لا يعرف أن يمثل دور الذئب ـ طبعا •

تجرى هذه الاحداث أمامك وكأنها تجرى على مسرح ؛ ان القصة مما يمكن أن يمثل وينجح فى ذلك • وفى حوارها من القوة ومن المعانى ما يهىء لها « الزبائن » بين الكبار ، فقد كان المؤلف يعرض امورا تشغل الضمير الانسانى ـ صغيرا كان أم كبيرا ـ ومن ذلك « النيات الطيبة » و « الطبع والتطبع » و « الآباء والابناء » و « والوفاء والغدر » •• هذا ، ولا يفوتنا أن المؤلف أفاد كثيرا من التراث الشعبى فى القصص كالذئب والحمل ، وذوات القبعة الحمراء ، ولكنه عرف كيف يتمثله ويستغله فى تسيير حكايته وفى ايجاد المنافذ اللازمة لمزاحه وارائه وخياله وملاحظاتـه اليومية ـ ان كتابة قصة كالذئب ليس بالامر اليسير •

اما قصة «ثلاثة على مائدة»

فهى من القصص التى تثير فى نفس القارىء شيئا من الخوف والاسى ، ولكنه على ذلك يظل يتابع خطوتها ، وربما ذكره جوها بأجواء من قصص ادگاربو وهوفمان ••• وتسير مع البطل ، وهـو مـن هؤلاء الناس الذين لايعرفون الاستقرار فى غرفة مريحـة ، انما يحبـون السـير فى مجاهل الطرقات ، وكأنه يبحث عن شىء معين ، وما هو كذلك ، ولكن أمرا فـى مزاجه يدفعه للسعى وراء المجهول متحملا فى سبيل ذلك المخاوف غير آبه بالمخاطر • هذا البطل هو القاص نفسه أو هو من أراده القاص لنفسه ، ولكن

القصة ليست قصته ، انما هى قصة الاب الذى اعتزل العالم ، فلا يريد رؤية الناس ولعله يخشاهم ، والسبب بسيط فقد بات ابنه مشوها ، والناس لايستسيغون رؤية المشوهين ، ولايستطيعون ان يكونوا مؤدبين فى حضرتهم ، والاب احرص خلق الله على عواطف ابنه ، واقدرهم على التضحية فى سبيله ... وهكذا اعتزل الناس بعد ان شاهت خلقة ابنه . والناس ظالمون فما كانت للولد يد بهذا التشويه ، وظالمون لان مثل هذا الولد كان جديرا بكل احترام ، لانه ضحية النار التى عاناها وهو ينقذ الاطفال من الحريق . ولكن الاب وحده ظل مسرورا بهذا العمل ، سعيدا بذكراه ، وقد تحمل فى سبيل ذلك آلام الغربة والعزلة ، وتحمل آلاما نفسية جمة . اما رأيت شدة خجله من الناس ؟ أرأيت حفلة تقام فى الظلام ؟ اما رأيت انه لم يجرؤ أن يدعو واحدا من البشر حتى فى ليلة ميلاد ولده ـ وكان لابد له من ضيف وقد وجد هذا الضيف فى ذلك الرجل الذى ولع بالبحث فى المجاهل والسعى من أجل المجهول .

فى هذه القصة القصيرة او الاقصوصة درس سلك اليه المؤلف طريقا هادئا وظهر وكأنه لم يقصد الى شيء ـ واستبعد ذلك ولكنه الفن الذى يشغلك عن نفسه .

أما فى قصة «كامليوفون كافور»

فلابد من ان يكون كافور القصة هو كافور الوحدة الايطالية ، لان الاسم صريح ولاننا نعلم انه ولد عام ١٨١٠ فى تورينو ، ولعبارات وردت هنا وهناك فى ثنايا القصة . وما كان الشك ليخامرنا لولا اننا ألفنا كافورا على شكل آخر هو ذلك الشخص الضخم الذى أتى بالعجائب فى سبيل تحرير الشعب الايطالى . أحق لمثل كافور ذاك ان يحيا هذه الحياة التى

نرويها القصة وتصفها بأنها « حياة مفعمة بعرام الغريزة ••• فكان ينتقل من بين ذراعى غانية الى ذراعى غانيـة اخرى ••• تروى لنا ماجريات عرامه بالمركيزة وغرام المركيزة به ، حتى انه كتب فى مذكراته : « أقسمت ألا أترك هذا الملاك ما حييت ، وانى ساقرب نفسى قربانا بين يديها ، وسأجعلها هدفا اسعى اليه فى حياتى • » وكتبت اليه « ولقد قلت لك يا كاملو ان روحى لم تكن الا شعاعا من ضياء روحك ، واننى لست شيئا مذكورا الا بك ••• ان كاملو يعرف الحب •••» ولكنه تركها ــ وهى تعالج الاسقام وتعانى السل فى سكرات الموت ، و « وقع بين ذراعى غانية حسناء تورونية الحسب وضيعة النسب ••• كانت ما تنفك تختال بانتصارها على كافور ••• »

ان من يقرأ قصة الكاتب الالمانى يشك ، وتختلط عنـده الحقيقـــة بالخيال وتضطرب عليه المفاهيم ويكاد ينتهى الى أن كافور كونراد زايفرد غير كافور تحرير ايطالية ، والسبب فى ذلك بسيط ، ذلك انه لم يقرأ عن كافور غير كتب التأريخ ، ولاننا اعتدنا ان نفهم الناس على غير ما هم عليه ، وأننا نضع «للعظماء» من مناهـج العيش ما ليس بالحقيقـى ، اننا بعـد ان نعرف « العظيم » خلال التأريخ واعماله التأريخية يصعب علينا معرفة ، حياته الخاصة ، كانسان مثل أى انسان ، وكثيرا ما يؤدى بنا هذا المفهوم النظرى الى كثير من الخطأ والظلم •

لم يكن غرض الكاتـب الالمانى الاول ، هـذا الذى استنبطناه ، ان غرضه غير هذا ثم انه لم يقصد الى التسلية العابرة انما قصد الى التربية الوطنية فبين كيف انتقل كافور من هدف «الغناء فى سبيل المركيزة» الى هدف اسمى فى صورته وجوهره» • وقد جر هذا القصد الواضح الى شيء من التكلف •

ومن يدرى ، فقد يجد عدد من القراء ان القصة هى قصة المركيزة اكثر منها قصة كافور . ولكن كافورا مهم برأى المؤلف والمؤرخين .

اما قصة «قبلةالوداع»

فهى قصة يرويها اخرس بقلمه ، وكان هذا الاخرس من قبل ، ممثلا مشهورا ، فقد قبل لسانه زوجته العزيزة ، ووجد بابنته «بيانكا» عزاء امها. ولكن باينكا «متكبرة ... تحب حريتها ... ولم تكن بالشفيقة» عشقت – دون علم ابيها ، زميلا لها هو «انريكو» السكير الشريب الذى حملته الخمرة الى الحاجة وحملته الحاجة الى المال على سرقة خزانة المؤسسة التى كان محاسبها ، وكان لابد له من ان يستنجد «بزميلته» على رد المال المسروق قبل ان يفضح ، ووجدت «العاشقة» بذلك فرصة وشرفا عظيما ، ولم تر طريقا احسن من اثارة النخوة فى عمها الثرى البخيل – وهيهات لقد رأته «جالسا خلف نضده ، مشغولا بعد نقود خزانته ...» فأبى ، فخنقته ، ولئن استطاعت ان تنقذ انريكو فلم تستطع ان تدفع عن نفسها التوقيف» وما هو اكثر من التوقيف .

ليست القصة قصة بيانكا وحدها ، انما هى – قبل ذلك – قصة الاب ، او هى هذه العجائب التى يثيرها الاب وهو يفكر ويدبر لانقاذ ابنته . وكانت اولى العجائب ان ينسب الاب الجريمة لنفسه ، ولم يجده ذلك فقد كانت معالم الجريمة واضحة وحكم على بيانكا . ثم انه قابل انريكو – وهو لايعرفه من قبل – لعله يعينه فى مسعاه ولكن «المحبوب» انكر ان تكون له بالبنت اكثر من الزمالة ، واستنكر اعمالها الطائشة التى قد تؤذيه ، فعاد الاب يزور لابنته الاشياء ويخبرها ان انريكو «مضطرب الفكر من اجلك .»

كأن كل هم بيانكا ان تحس ان انريكو يحبها ، وان يقبلها قبلة الوداع قبل ان تنقل الى منفاها ، واذن فلا مفر للوالد من العمل على تحقيق هذه الرغبة ، وانى له ذلك ، وهيهات • ان انريكو لايريد ان يرى بيانكا ولا يريد ان يرى اباها ، فما العمل ، ولا بد من تحقيق رغبة البنت • واذن فلا بد من اعجوبة اخرى ، لابد من لعبة كبرى : سرق الاب قبعة انريكو وتذكر فنه فى التمثيل ومعرفته «بالماكياج» ، فرأى ان يمثل امام ابنته دور انريكو المودع ، وقد اجاد فعلا ، ولم تشك بيانكا فى انه انريكو فبكت وبكى ••• وودعها ••• ثم غلى الثأر فى دمه فقتل انريكو •

هذه هى اعترافات الاب القاتل ، وعرضت الحكاية على طريقـــة التحدث عن الفعل الماضى وبضمير المتكلم ، وهى طريقة سهلة قد تسبب الملل فى السامع ، لسيرها على وتيرة واحدة من غير حوار ومن غير التفات وتغيير فى الـ «أنا» ••• ان الحكايات الشعبية تعوض عن مثل ذلك بغرابة الحوادث او بادارة الحديث على غرائب المخلوقات وغرائب الاطـوار ، وكادت المؤلفة تفعل شيئا من ذلك اذ جعلت قصتها سلسلة من العجائب والتنقلات بين الاحوال فجعلتها بذلك اقصوصة اقرب الى الحكاية منهـا الى القصة القصيرة ، ثم انها ادخلت عنصرا اخر يشوق عشاق القصة ، هو الجانب البوليسى ، وما يجره من أجواء يظل القارىء فيها متطلعا لنتيجة الحكم ونتائجه على انريكو وبيانكا والحكم المعلق الذى ربط القارىء منذ البداية ، حكم المدعى العام على هذا المجرم الذى جاء يعترف بذنبه •

هذه الغرائب وهذه البوليسية غطت عيوبا اخرى وحالت بين القارىء واحساسه السريع بالجفاف الذى كان مأتاه عقلية الخيال السائد الذى جعل القصة اقرب الى الاصطناع والاختلاق منها الى الطبيعة والانسجام ، وانك

لتبحث عن العواطف التى تنبعث عن القلب والاطوار التى تتقلب عليها النفس فلا تكاد تظفر بشيء . لذا ، فانك تتابع الحكاية بعقلك أو بمعنى أدق بخيالك العقلى ولا تكاد تنسجم منك نفس بنفس

لو شئنا ان نربط بين قبلة الوداع وبين قصة «أم وابن» وجدنا قرابة بين الام وبيانكا ، وكان الاب الذى يستأهله طفل مثل «تارو» هو «جياكومو» ـ والجو بوليسى واكثر بوليسية . توفرت «أم وابن» بصفحات معدودات على جو لايتوفر الا بكتاب غير صغير . ولكنها ليست بوليسية حسب ، تقرؤها لتقتل بها وقتك ، انها اكثر من ذلك ، انها فصل جاد من الحياة العابسة ، يبصرك بنفسك ويبصرك بما تقول وبما تفعل «وفى أنفسكم» .

قد يكون المنهج تقليديا ، او انه ليس خاصا «بأم وابن» وحدها ، ولكنه نهج قصصى من طراز عال . خير من كثير من تهورات البدع ، ناجح فى البداية والتسلسل والنهاية ، ناجح فى دخول الاشخاص على «المسرح» وفى وصف مناسب للمناظر المتجددة بين السجن والكهف وساعة جلب الماء وقاعة التحقيق...وفى الحوار : وللمعلم لهجته الوعظية الساذجة الثقيلة،وللاسعافية لهجتها الجادة،وللشرطة لهجتهم الملتوية،«والمجرم» برىء من كل ذلك له لهجته الخاصة التى لا يحدث بها احدا غير نفسه: يحاورها ويناجيها ويهامسها ويكلم ما يمر به من اطياف وتعاوده من ذكريات، ويجيب عن اسئلة الاخرين ويعلق على اخطائهم ولكنه فى نفسه ولنفسه .

ثم شيء آخر ، لا تجده فى كل القصص ... هو اشبه بتعليقات يسجلها «المؤلف» بحذق بحيث تنسجم وظروف الفقرة السابقة لها ، يعلقها وكأنه مراجعة ، يراجعها شخص القصة فى نفسه : «كان تارو جالسا ...» و «كان تارو يضطرب ولاءآ...» و «كان يقصد الى مساعدة امه ...»

ليست «ام وابن» مجرد سرد لفعل مضى ، وسلسلة تاريخية رخيصة تشبه كتابة التراجم ، انما هى سير للحوادث والاشخاص كمـــا تقتضى شروط التحقيق البوليسى فى التوصل ــ او محاولة التوصل الى الاسباب والدوافع ، باستنباط شيء من شيء وربط الجديد بالقديم والشاهد بالغائب • وهكذا ، انك لو حاولت اعادة قصها على الطريقة التأريخية لتعبت من جمع الاطراف من هنا وهناك ، اما رأيت كيف بدىء بالحريق فى الصفحة الاولى ولكنك لم تعرف سبب هذا الحريق وتتبين ضلال التهم الا على الصفحة الاخيرة : فما شاء تارو يوما ان يحرق الحصن الحربى • وكذلك قل فى جوانب حادثة الشنق ، انك تلم شعثها من هناك ومن هنا • وليس هــذا بالسهل وهو ما يعود للفن او التفنن وليس من السهل ان يطاوع المبتدئين من عامة الناس •

«ام وابن» حياة تمر امام عينى القارىء كما وقعت ، باشخاصهـــا واحوالها واماكنها ، فتعكس صورا نفسية لاتلبث ان تجتذب القارىء اليها ويصبح جزءاً منها ، وقلبه يجف كلما قام تارو او قعد ، كلما اخرج او احتيل عليه ••• ان القارىء ليحنو عليه كما يحنو على طفله الصغير البرىء الذى يود لو جنبه كل مكروه ويتمنى له ان يسلم من النار والناس •

لم يرزق المسكين تارو اما كالامهات ، ولكنه يحبها كما يحب الابناء امهاتهم وزيادة • وها هى ذى تبعده عنها ليخلو لها وجه العبث ، وها هى ذى تعيش واياه فى الكهف والمسكين قائم على خدمتها ، سعيد باطاعـــة أوامرها ، مرتاح لتحمل الاخطار فى سبيل توفير الماء اللازم لوجودها ، وها هى ذى تعمل على شنقه وتلف الحبل ثلاث لفات حول رقبته وتحسبه ميتا فتتركه ، ويتهيأ له من ينقذه • ويبتعد الى اميركة ولكنه يظل متعلقا بأمه ــ لانها امه • يتتبع اخبارها ويحاول ان يتعرف على احوالها ــ كان

طفلا . وهناك فى هونولولو «سمع ان امه تدير حانة فى جنزا ، ولهذا فانه بحث فى المساء الذى وصل فيه الى طوكيو ، عن الحانة ووجدها» وعمل المستحيل فى سبيل دخولها ، فتنكر ، ولم تعرفه ـ وكان عليها ان ترى فيه ولدها ـ وأهانته ، وآلمه أن يكون زبائن حانة امه قليلين وان يكون رزقها شحيحا ، فعمل على اعانتها دون علمها ، بأن ينقل اليها الجنود ، وهو برىء ، ولا ادل على براءته وعمق براءته من مثابرته على حبه لامه متحديا احداثا يكفى الواحد منها لان يزرع فى نفسه اكثر من حقد ، ويشد اكثر من عقدة ... حتى اذا اتضح الامر ، واتضح له سوء فعلته ولم تبق امه امه ، انها ليست الا امرأة «ولم يعد له غد» سلك كما تسلك قلوب الاطفال المفجوءة المفجوعة، القى بنفسه بين خطى القطار فلم يصبه، فلجأ الى طريق آخر «سرق النفط ... ودخل ملجأ حربيا ... ورش على نفسه النفط ... ولم يمت ولكنه اغمى عليه .

قبضت الشرطة عليه ، والجرم واضح ، وها هوذا الدخان والنفط والثقاب ، كان الجرم واضحا لديها ، وكان تارو ، بريئا ـ يقصد الى اشعال النار فى مخازن العتاد . وحين فوجىء بهذا التجريم ، ولم يكن له به علم ، جن جنونه وصاح « اقتلونى ، اقتلونى » وأراد أن يقتل نفسه بكل سبب ، حتى اذا عثر على مسدس لاحد الشرطة تناوله فلم يعرف كيف يصوب فوهة المسدس ، لقد صوبها الى الحائط وكان يريد أن يقتل نفسه ، ولم يفهمه الشرطيان الحاضران ، فقد حسباه يريد قتلهما ـ كما هو المعقول ـ ولكنه لم يرد الى شيء من ذلك قط . « فأرسل الشرطى الشاب وتدحرج حتى نهاية الحصير ، وأسرع على أربعة أطراف واختبأ تحت المكتب ، وألقى الشرطى الآخر بنفسه خلف المكتب وسحب مسدسه » وقتل تارو . وهكذا يكتب لتارو أن يقتل على يد غير يده ، ويكتب له أن يحمل الآخرين مسؤولية موته كما حملهم مسؤولية حياته .

يموت تارو فيعلمنـا كيف يموت البرىء وقد اختلق النـاس عليه « ألف » جريمـة وجريمـة ، انهـا لمهزأة . ولعلنـا نتمهل فى أحكامنا ونتروى ـ لعلنا ، ولا سيما فى التهم التى يكيلها الكبار للصغار عن جهل وضيق عقل وسوء تصرف : اننا نحملهم ما لا يمكن أن يتحملوه ، فاذا أراد « الواحد » منهم أن يحرق نفسه قلنا أراد أن يحرق مخازن العتاد .

وبعد .

فالقصة نفسية ، عرضت نفس هـذا الطفل فى أهم صورهـا وأهم « عقدها » وأهم وساوسها . هذا الطفل المسكين الذى عملت أمه كل شىء فى سبيل ابعاده والقضاء عليه ، وعمل كل شىء فى سبيل خدمتها وارضائها ؛ عمـل يوم كانت أمه ، حتى اذا « لم تبق الا امرأة » صعق وكان من أمره ما كان . وهذا الذى حدث له ، يحدث مثله لاى انسان . ولنقرأها ثانية . فليست « أم وابن » قصة تقرأ مرة واحدة فنفهم أسرارها ونفهم بناءها الفنى المحكم . لنقرأها ولعلنا نجد شبها بينها وبين « الجدار » ، القصة التى كتبها جان پول سارتر[١] .

---

(١) مما يذكر للالمام بالمهم من فن القصة الطويلة ، التلخيص الذى عملته مجلة الآداب البيروتية فى عددها الخـاص بالقصة (كانون الثانى ١٩٥٤) للكتاب الذى ألفته الكاتبـة البلجيكيـة Nelly Cormeau ونشـر بالفرنسية منذ سنوات بعنوان Physiologie du Roman (فيزيوموجية القصة) .

ووردت المراجـع الانكليزية المهمة للقصـة القصـيرة فى ذيل مادة Short-Story من الطبعتين الاخيرتين لدائرة المعارف البريطانية ومن « قاموس المصطلحات الادبية » .

قصة المانيـة

كاميلو فون كافور

كتبهـا

الكاتب الالمانى كونراد زايفرد

ترجمها عن النص الالمانى

الدكتور محمد بديع شريف

الملحق الثقافى فى السفارة العراقية

فى لندن

في شهر مايس من عام ١٨٣٠ نقل الملازم الاول كامليو فون كافور من ذرى جبل كنيس المعمم بالجليد ومن حقول الثلج المترامية والبيئة الصامتة والطبيعة القاسية الى مدينة جنوة « فبهره لألاء المدينة في سعة اطرافها وبحرها الممتد الذي يحتضنها في زرقته المتماوجة الجميلة فلم يملك نفسه في هذا السحر البديع حتى هتف من سويداء فؤاده « أهي حياة جديدة ؟ » وكانت طلائع الاحوال في أول أمره تنبىء انه سيبعد سيرته الاولى المفعمة بالمخاطر والآلام تلك السيرة التي مشى بها منذ ان ترك المدرسة الحربية التورنيـة وكانت حياة مفعمة بعرام الغريزة وهيام الشباب وهكذا فعل . فكان ينتقل من بين ذراعي غانية الى ذراعي اخرى تنقل النحلة من زهرة الى زهرة حتى التقى بالمركيزة انا جستنياني .

كانت هذه المركيزة في سن الخامسة والعشرين وكان كافور قـد اكمل العقد الثاني وبدأ عقده الثالث . وما كانت المركيزة مشرقة الوجـه ولكن العناية الالهية ابدعت فيـه عينين نجلاوين تشعان بالجمال والقـوة وحبتها الطبيعة جيدا كجيد الريم ينم عن اعتداد بالنفس وشجاعة في الفؤاد وقد فعلت هذه الشجاعة فعلها في تحرير الشعب الايطالي وتوحيده وكان عرام الجنس الذي يملأ جوانحها وثاقا متينا ربط هذا الفتى بهذه الغانية .

ففي النظرة الاولى والكلمة الاولى أحس كافور أنه وقع أسيرا بين يديها وان العناية الالهية ارسلتها لتحد عرام طيشه ولكن أيكون ذلك الى الابد ؟

وفي غمرة الحب الصاخب التي انغمست بهـا جوستنياني ونشـوة الغرام التي كان يترنح بها كافور صاح صائح الثورة الفرنسية فاستيقظ فؤاده وردد صداها وأيقن ان ساعة تحرير الشعب الايطالي قد دنت ولكنه

لم يكد يخطو خطوة حتى فضح أمره وعلمت القوة الحاكمة خبيئته فنفته الى « بارد » لانه هتف «يحيا لويس فيليب » ولما يمض عليه شهران فى عرام نشبوته • وهناك احتضنته حقول الثلج وتلول الجليد فى صمتها وجبروتها بين جبال « مونت بلانك » و « مونت روزا » و « سنت برنارد » وما كاد يهدأ فترة من الزمن حتى طفق الغوانى يكتبن اليه وكانت عيون الرسائل يأخذها النعاس حينا وتستيقظ أحيانا اخرى ونسى كافور غانيته فى جنوة وأخذ يختط خططا جديدة ونبطت فى مخيلته فكرة جديدة تدفعه الى حركة جديدة أيضا وشرعت فتيات اخريات يحمن حوله فاستيقظ طيشه الاول تارة اخرى •

وفى عام ١٨٣١ ودع كافور خدمة الجيش وانصرف يدبر املاك أبيه الواسعة فى سهول « البو » وفى منحدرات الابنين الشمالية واخذ يغرس الكروم ويزرع الرز ويجفف المستنقعات ويربى الدواجن • وتوثقت عرى المعرفة بينه وبين وجهاء القوم وبرز فى أعماله حتى أصبح فلاحا يشار اليه بالبنان بيد ان حنين السياسة ظل يتردد بين جوانحه •

لقد هدأ كل شيء حوله ورأى نفسه أنه يمر فى طور انتقال من حال الى حال وشعر انه مغلوب على أمره وأحس أنه معتكف منطو على نفسه ولم ير بعد طريقا الى السمو انه يريد مظهرا يعلو به ودارت به الارض الفضاء فكتب الى صديقة لأبويه : اننى اعترف بين يديك انه سيأتى يوم تمشى الطبيعة به على اذلالها ذلك هو حين استيقظ فأرانى وزيرا قائدا للملكية الايطالية وهو يعلم انه لم تكن ملكية فى ايطاليا فى ذلك الوقت ولكن حلما كان يراود هذا الملازم المجهول المطرود من الجيش فكان يحلم ان يجمع شمل المملكة فى يوم من الايام وأن يكون مدبرا لشؤون دولة جديدة ينتظرها الوجود •

وفى شهر حزيران من عام ١٨٣٤ بينما كان فى غمرة من أحلامه

وأعماله وقعت فى يده رسالة من المركيزة جوستنيانى تطلب فيها منه ان يوافيها على عجل • فلما فرغ من قراءتها كاد يجن وكاد الدم يقف فى عروقه ودهش ان تصله منها رسالة بعد اربعة أعوام انقطع فيها عنه منهـا كل خبر وقد كشفت مذكراته عما حدث فيما بعـد فقد بدل اسـمها ولم يذكر المركيزة انما سماها « انكونيتا » فكتب فى هذه المذكرات : اننى لا استطيع ان أصف الشعور الذى هاج فؤادى فان هذا الباعث الخفى الذى دفع انكونيتا ان تخطو به هذه الخطوة قد افعم نفسى فى حيرة مخيفة • أكانت تريد لقائى لكى تكشف صفحة خلقى وتعيد صداقتنا جذعة ام انها اصبحت ترسف من جديد فى قيود ذلك الحب العارم الذى قاومته أياما وليالى بشجاعة نادرة • اننى لم استطع ان اتردد وعزمت على السفر اليها تاركا خمسين عملا لم تتم ولم تصدنى حرارة الشمس المحرقة عن ان اتخذ طريقى اليها فوصلت تورين بعد ثمانى ساعات ثم دخلت دارى وغيرت ملابسى ولم اضع لحظة من الزمن فدلفت الى الفندق الذى تنزل فيــه انكونيتا أبحث عنها فقيل لى أنها فى دار الاوبرا فأسرعت وجلست على أحد المقاعد وأطلقت لعينى أن تمرا على المقاصير حتى وقعتا على المقصورة السادسة من الصف الاول فاذا بى أرى سيدة عمها الحزن وابصر وجها من أحب الوجوه الى فى العالم قد نشر عليه الهم نقابا شفافا نم عما يحمله من ألم عميق • هذه هى بنفسهـا فلما علق ناظرهـا بناظرى عرفتنى • يا للفتنة والهيام • ماذا استطيع أن اصنع لها ؟ آه على قدرتى ، اننى لن أقدر على مكافأتها على هـذه الهبة الكبرى من السعادة المطلقة فى هـذه البريهة من الزمن •

ولقد كانت مقصورتهـا مملوءة من المشاهدين الذين كدروا عـلى صديقتى المسكينة صفو ساعاتها بهذرهم وشقشقتهم • ولقد تعب ناظرانا مما بذلاه من جهد ان يفصحا عما كان يخفق به قلبانا حتى قدر لنا ان ننفرد

بأنفسنا . وما اكثر ما كان أحدنا يريد ان يفضى به الى صاحبه وكان تزاحم المعانى وقف النطق فى لهاتنا فلم تنبس شفتانا بنغوة وتركتها فى ذلك المساء يملأ جوانحى أمل وحب وندم وعذاب يتقلب به ضميرى ولقد آمنت بالحب الذى لا يفنى وعـدت فخورا اختـال مأخوذا بهذا الحب الصافى الذى لا تشوبه أثرة . ولكننى حين أمعنت النظر فى انكونيتا ورأيت ما خلفه هذا الحب فى وجهها الجميل مما كانت تقاسيه أخذنى الغضب على نفسى وبرح بى الندم فاستغفرتها فى بلادة شعورى ووحشية سـلوكى وقصر بصيرتى وتواعدنا ان نلتقى فى مساء الغد .

ولما عاد كافور الى بيته سمع ان اباه قد ترك قصره « سانتينا » وسافر الى أطيان « غنسيانو » ليلتقى به كى يحدثه فى شؤون الاطيان ، ولم يعلم الاب ان كافور قد وصل الى تورين .

وفى هذا الحادث كتب كافور فى مذكراته :

« ولما أردت أن أوفر على أبى هذه الرحلة التى لا تنفع أزمعت السفر فورا الى سانتينا ولما لم أجد عربة تقلنى عزمت على أن أصل اليها مشيا على قدمى وقد كان الليل فى منتصفه والقمر المنير يذرع صفحة السماء وينشر نوره الشاحب على العوالم وينير شواطىء نهر البو ويعمم فى صفرته الحزينة ذرى تلال تورين وكانت أشعته الواهنة تتواءم مع ما يفعم فؤادى من الحزن العميق . ما اروعها رحلة فاتنة قد لا يجود الزمن بجلالها ورهبتها علىً مرة اخرى » . وفى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل وصل كافور الى سنتيانا ولكنه عاد على عجل فى المساء فدلف الى فنـدق المركيزة وكتب يقول :

« لقد اسرعت ارقى السلم فلما دخلت غرفة انكونيتا لقيتها وحيـدة جالسة أمام المائدة قد غشى وجهها نقاب من الحزن ونمَّت اساريره عن

تعب منهك وتركت ثيابها الفضفاضة فى نفسى أثرا من الاسف عميقا وقد كانت فى جلستها وهيئتها صورة للالم فمن ذا الذى بعث هذا فى نفسها ؟

لقد استقبلتنى دون أن تلوم فزمزمت كلمات أطلب فيها الغفران وتناولت يدها فوضعتها على شفتى ولكنها لم تقو على الوقوف فمال جبينها علىّ وأخذ فمها الجميل يبحث عن شفتى ليطبع عليهما قبلة الحب والرضا . فهل أنا يا ترى استحق هذا الحب ؟ فأقسمت ألا أترك هذا الملاك ما حييت واننى سأقرب نفسى قربانا بين يديها وسأجعلها هدفا اسعى اليه فى حياتى » .

ومرت ثلاثة أيام غرق الحبيبان فيها بهيام وحب عارم . ثم جاءت ساعة الفراق اذ كان لزاما على انكونيتا ان تترك تورين فقد اشتد عليها المرض الذى يتطلب صفاء الهواء وطيب المقام وحسن الغذاء . فتوارت انكونيتا الى غير رجعة وكانت رحلتها الى تورين مجازفة خطرة وكان بقاؤها ثلاثة أيام ولياليها مع كافور استنفدت قواها وان كانت من أجمل الايام وأروعها فى حياتها .

وقد كتبت اليه بذلك تخبره « ان هذه الايام الثلاثة التى قضيتها بجنبك بددت جميع ما انتابنى من الآلام فى تلك الاعوام الماضية . ولقد قلت لك يا كامليو ان روحى لم تكن الا شعاعا من ضياء روحك واننى لست شيئا مذكورا الا بك وبدونك يتلاشى جسدى من الوجود ولن اترك لاحد نافذة أمل يطل منها علينا فيفرق بينى وبينك وأحب الىّ أن اترك أبوى وأجفو اصدقائى جميعهم طمعا فى سبيل رؤيتك وحبا فى الوقوف الى جنبك اننى أعلم سأكافح كثيرين من أجلك ولكننى واثقة اننى لن أخشى نزالهم واننى مطمئنة انه لن يغلبنى أحد طالما تحبنى وأحبك وان خدعتنى نفسى فأحب الى ان اتوارى بين طيات التراب قبل أن أشهد ذلك . لا ! لا ! ان كمليو يعرف الحب ان كمليو لا يتركنى نهب الاحداث انه

عظيم . انه نبيل اننى سأقصر هذه المسافة التى تفصل بيننا اننى سأكون بين ذراعيك عما قريب .

ولم يمض اسبوعان حتى كتبت اليه تقول : ان حالتينا مختلفتان . لقد اختارتك العناية ان تكون لى العماد الاخير وجهزتك بشجاعة نادرة ومواهب عظيمة ستقودك الى المع مستقبل . اما ان سألتنى عن نفسى فاننى اقول لك اننى انتهيت من حيث قد بدأت انت . اننى اقبل منك العون . لكن واجبى يقتضينى أن أقول لك ان حبى اياك ما كان الا اثرة وان حبك اياى لم يكن الا ايثارا لا استحقه اننى الآن متعبة عش سالما رعاك الله .

ومر اسبوعان كان كافور فيهما يرسل الرسالة تلو الاخرى حتى أصبحت انكونيتا لم تسمع منه كلاما ثم علمت بعد انه وقع بين ذراعى غانية حسناء تورينية الحسب وضيعة النسب وانها امرأة فخورة كانت ما تنفك تختال بانتصارها على كافور ولا تنفك تذكر انها استطاعت ان تزحم انكونيتا وتأخذ مكانها .

وظلت انكونيتا تكافح مرض السل الذى لا يشفى خمسة اعوام كوامل بل كانت تكافح الموت المؤكد وقد أصبحت وحيدة فى الوجود وتركت كل شيء ولم تعد تظهر للناس فقد انهارت قواها وايقنت ان اجلها قد دنا وقبل موتها ببضعة أيام كتبت الى كافور « ان المرأة التى احبتك قد طواها الردى وانها ما كانت جميلة لانها قاست الآلام أياما طويلة . ولقد كانت تعرف ما ينقصها فى الحياة اكثر مما تعرف عنها . اقول لك انها قد ماتت وفى هذا البرزخ برزخ الموت قد صادفت ضراتها القدامى وان كانت قد حاولت فى الحياة الدنيا ان تبرهن على ضلال فحالت دون ذلك نخلة الجمال فاعلم انها اصبحت فى هذا البرزخ اجملهن وأحلاهن ، وداعا ياكامليو وفى هذه اللحظة التى اكتب اليك فيها هذه السطور قد عزمت على

الا أراك أبدا وانني امل ان تقرأها قبل أن تكون بيني وبينك جندل وصفائح وتضمني أسرار الابدية او قبل أن أنساك ، ان رعدة من الخوف تتمشى في مفصلي عند ذكر هذه الفكرة »

ان كمليو فون كافور لم ير انكونيتا أبدا ولقد كان ينتقل بين باريس ولندن لقد نسي انكونيتا ونسي ذلك القسم المقدس « اقسم انني لن اترك هذا الملاك ما حييت وأنها ستكون هدفي الوحيد الذي اسعى اليه » .

لقد أصبح لكافور هدف اسمى في صورته وجوهره ذلك هو تحرير إيطاليا وتوحيدها وقد وصل كافور الى هذا الهدف .

قصة فرنسية

الذئب

كتبهـا

مارسل أيمه

Marcel Aymé

ترجمها[1] عن النص الفرنسي

الدكتور علي جواد الطاهر

---

(١) عن الطبعة الـ ٣٩ من مجموعة :

Les Contes du Chat Perché. Paris (Galbmard).

كان الذئب يرقب بتجلد على مقربة من البيت • وما كان أشد ارتياحه حين رأى الابوين يخرجان من المطبخ ، حتى اذا بلغا عتبة الباب أبديا اخرى توصياتهما وقالا :ـ

ـ تذكرا ألا تفتحا الباب لكائن من كان ، سواء أتوسـل اليكما أم هددكما • وسنعود قبل حلول الليل •

عندما رأى الذئب الابوين قد ابتعدا كثيرا ووصلا الى آخر منعطف من الدرب ، دار حول البيت وهو يعرج لألم في أحد مخالبـه ، ولـكن الابواب محكمة الاغلاق • وما من أمل في الخنازير والبقر فليس لمثل هذه الحيوانات من الذكاء ما يمكن معه اقناعها بأن تستسلم للآكلين • ولذا توقف الذئب ازاء المطبخ ووضع يديه على حافة الشباك ونظر الى المسكن •

كانت « دلفين » و « مارنت » تلعبان « الكعاب » أمام الفرن • وكانت مارنت ـ وهي الصغرى والاكثر شقرة ـ تقول لاختها دلفين :ـ

ـ اثنتان لا تسـتطيعان أن تستأنسا كثيرا ، انهما لا تسـتطيعان أن تلعبا « دائرة » •

ـ هذا صحيح ، انهما لا تسـتطيعان أن تلعبـا « دائرة » ولا لعبـة « الكرة المستقرة » •

ـ ولا لعبة الخلد أو لعبة الكوروت المريض •

ـ ولا لعبة العرس ولا « الكرة الذائبة » •

ـ وهل هناك لعبـة أكثر متعة من لعبـة « الدائرة » أو « الـكرة المسـتقرة » ؟

ـ آه لو كنا ثلاثا •••

ولما كان ظهر الصغيرتين الى الشـباك ، فقد نقر الذئب على الزجاج

ببوزه ، ليشعرهما بوجوده • فتركتا لعبهما وأقبلتا نحو الشباك وقد أمسكت الواحدة منهما بيد الاخرى •

ـ وقال لهما الذئب : صباح الخير • ان البرد فى الخارج لقارس •

فشرعت الاكثر شقرة تضحك لانها وجدته عجيبا بهاتين الاذنين المدبتين وهذا الشعر الشوكى الذى يعلو قمة رأسه • ولكن دلفين لم تخدع فانها همست وهى تشد على يد الصغرى :

ـ ان هذا هو الذئب •

ـ فقالت مارنت : الذئب ؟ اذن أنا أخاف ؟

ـ حتما ، نحن نخاف •

ولشدة الرعب تماسكت الطفلتان من الرقبتين وقد اختلط شعرهما الاشقر ، واختلط تهامسهما • ولابد من أن يكون الذئب قد اقتنع بأنه لم يرقط مثل هذا الجمال منذ بدأ تجواله فى الغابات والسهول • ولهذا فقد رق لهما كثيرا •

ـ وسأل نفسه : ولكن ماذا حل بى ؟ ان اوصالى لتضطرب •

ولشدة تفكيره فى هذا ، اطمأن الى انه أصبح ـ فجأة ـ خيرا ، خيرا جدا ، ووديعا جدا بحيث لا يمكنه بعد أن يأكل أطفالا •

أمال الذئب رأسه الى الجانب الايسر ، كما يفعل الخيرون ، وقال بأرق لهجة :

ـ البرد ، ومخلبى يؤلمنى كثيرا ، وأهم ما فى الامر هو انى خير • فاذا تفضلتما بفتح الباب فسأدخل أتدفأ الى جوار الفرن وسنمضى العصر معا •

تبادلت الصغيرتان النظرات بشىء من الاستغراب ، فلم تتصورا يوما ما أن يكون للذئب مثل هذا الصوت الرقيق • وكان هذا كافيا ليطمئن الاكثر شقرة ، فانها أظهرت عطفا ، ولكن دلفين التى لا تضيع رشدها بسهولة ، تمالكت نفسها وقالت :

ـ ول ، انك الذئب •

ـ وأضافت مارنت وهى تبتسم : اعلم أن ليس ذلك لطردك ، وانما لان أبوينا منعانا أن نفتح الباب سواء أتوسل الينا أم هددنا •

وهنا أرسل الذئب حسرة عميقة ونامت اذناه المدببتان على جانبى رأسه • وكان حزنه باديا • وقال :

ـ تعلمان أن كثيرا من الحكايات تروى عن الذئب ، ولا يجب أن يصدق كل ما يقال ، فى الحق انى لست شريرا أبدا •

وأرسل حسرة عميقة اخرى أسالت الدموع فى عيون مارنت •

وآلم الصغيرتين أن تعلما ما يقاسى الذئب من برد وانه تؤلمه احدى يديه • وهمست الاكثر شقرة شيئا فى اذن اختها مشيرة للذئب بطرف عينها تعلمه انها معه فيما يتعلق بها • أما دلفين فانها ظلت مطرقة لانها لا تقرر أمرا من غير ترو ، ثم قالت :

ـ ظاهره يدل على انه لطيف ، ولكننى لا اقتنع بذلك ، وتذكرى « الذئب والحمل » ••• مع أن الحمل لم يكن قد أساء اليه •

ولما احتج الذئب بنواياه الحسنة قالت له فى وجهه :

ـ والحمل اذن ؟••• أجل ، الحمل الذى أكلته ؟

ولم يكذب الذئب ذلك وقال : الحمل الذى أكلته ؟ أى حمل ؟

قال ذلك بكل هدوء كما لو كان الامر طبيعيا ، وبمظهر البرىء ولهجته ، مما يحدث قشعريرة فى الظهر •

ـ وصرخت دلفين : كيف ؟ اذن أكلت حملانا كثيرة • تهانينا !

ـ طبعا ، انى أكلت حملانا كثيرة • ولا أرى مكان الاثم من ذلك •• أنتما نفسكما تأكلان الحملان !

وليس هناك سبيل للانكار • فمنذ قليل أكلتا فخذا فى وجبة الغداء •

ـ وعاود الذئب كلامه : واذن فقد رأيتما جيدا انى لست شريرا •

افتحا لى البـاب وسنقعد على شـكل دائرة حول الفرن ، وسأقص عليكما حـكايات • ويمكنكما أن تتصورا مقدار ما عرفت منذ الزمن الذى بدأت أتجول فيه خلال الغابات وأطوى السهول ••• ان فى حكاية ما حدث على حد الغابة للارانب الثلاثة وحدها ما يضحككم كثيرا •

تجادلت الصغيرتان بصوت خفيض ، وكان من رأى الاكثر شـقرة فتح الباب للذئب حالا ومن دون تأخير (فليس من المناسب) أن يترك ـ وهو موجع اليد ـ يرتجف تحت الرياح • وظلت دلفين حذرة •

ـ واخيرا ، قالت مارنت : لا تؤاخذيه على الحمـلان التى أكلهـا ، فليس بامكانه أن يستسلم للموت جوعا •

ـ فأجابت دلفين : كان عليه أن يأكل البطاطس •

كانت مارنت مهتمة جـدا وملحة ، وكانت تدافع عن الذئب بكثـير من التأثر فى الصوت وكثير من الدموع فى العيون ، مما أثر فى اختهـا الكبرى • وما كادت دلفين تتجه نحو الباب حتى راجعت نفسها فى قهقهة من الضحك وقالت لمارنت وهى تهز كتفيها مذعورة :

ـ لا • ومهما يكن من شىء فسيكون ذلك حمقا كبيرا !

ونظرت دلفين الذئب أمامها وسألت :

ـ قل لى • لقد نسيت ايها الذئب « القبعة الحمراء » • حدثنا قليلا عن القبعة الحمراء ، وضح ، أتستطيع أن تدافع •

نكس الذئب رأسه خزيان • ولم يكن ليتوقع هذا ، وقد سمعتاه يتأفف وراء الزجاج •

ـ واعترف : ان هذا صحيح ، لقد أكلت القبعة الحمراء ، ولكنى اؤكد لـكما أن ضمـيرى قد أنبنى كثـيرا ، ولو كان ذلك مما يمـكن أن يتكرر •••

ـ نعم ، نعم ، ذلك ما يقال دائما •

ضرب الذئب على صدره من ناحية القلب • وقال بصوت جميل جهورى :

ـ أقسم ، لو أن ذلك مما يمكن أن يتكرر فانى سأفضل الموت جوعا •

ـ تبرمت الاكثر شقرة وقالت : على كل حال ، انك أكلت الطفلة ذات القبعة الحمراء •

ـ وأيد الذئب : لا أنكر ذلك • لقد أكلتها ، ذلك حق • ولكنها كانت من آثام الصبا ، وقد مر عليها زمن طويل ، أليس كذلك ؟ ولكل ذنب مغفرة ••• هذا ولو انكما عرفتما الآثار التى تحملتها بسبب هذه الطفلة ! هاكما • لقد بالغ الناس حتى قالوا انى ابتدأت بأكل الجدة • وهذا غير صحيح البتة •

وهنا شرع الذئب يضحك ضحكا شيطانيا ، على الرغم منه ، ولعله لم يشعر جيدا بأنه كان يتهكم •

ـ أرجوكما أن (تفكرا) قليلا ، هل من المعقول أن آكل الجدة فى الوقت الذى كان فى متناول يدى طفلة طرية جدا ، معدة لغذائى ! لست أحمق الى هذا الحد !

واذ تذكر الذئب وجبة اللحم الطرى هذه ، لم يستطع أن يمتنع من امرار لسانه الطويل على شدقيه ، فتكشفا بذلك عن أسنان طوال مدببة مما لا يمكن أن يطمئن الصغيرتين •

ـ فصاحت دلفين : ذئب ، أنت كذاب • فلو وخزك الضمير ـ كما تدعى ـ لما لحست شدقيك هكذا !

وكان الذئب خزيان جدا لتلمظه على ذكرى طفلة سمينة تذوب تحت الاسنان • ولكنه ـ على الرغم من ذلك ـ كان يشعر أنه من شدة الطيبة والامانة على ما لا يريد أن يشك معهما فى ذاته •

ـ وقال ، اعفوا عنى ، انهـا عادة سيئة ورثتهـا عن عائلتى ، ولكنها لا تعنى شيئا •••

ـ فصاحت دلفين : الى جهنم ان كنت قد ربيت تربية سيئة •

ـ وتنهد الذئب : لا تقولى هذا ، فانى كثير الندم •

ـ وكذلك اكل البنات الصغيرات عادة عائلية • اعلم أن مثلك حين تعد بالتوبة عن أكل الاطفـــال يكاد يكون وعـد مارنت بامتناعهـــا عن أكل الحلويات •

خجلت مارنت ، وحاول الذئب أن يحتج •

ـ ولكنى ما دمت أقسم لك •••

ـ لا تتكلم بعد • ولتواصل سيرك ، فانك ستتدفأ وأنت تركض •

وهنا استشاط الذئب لانه لم يصدق بأنه خير •

ـ وصــاح : انه من المؤلم ـ على كل حــال ـ ألا يريد النـاس أن يسمعوا صوت الحقيقة ! انه ليحزننى أن بدوت شريفا • أما أنا فاعتقد أنه ليس لاحد الحق فى أن يثبط النيات الحسنة ، كما تفعلان • وسوف تعرفان انى اذا عاودت أكل الاطفال فان ذلك سيكون بسببكما •

كانت الطفلتان وهما تصغيان اليه ، تفكران بكثير من القلق فى ثقل مســؤوليتهما ، وفيما ينتظرهما من وخز الضمير ، ولكنهما ظلتا جامدتـين من الفزع ازاء اذنى الذئب المدببتين اللتين كانتا ترقصان ، وعيناه تبرقان بشرر رهيب ، وأسنانه بين شدقيه المرتفعين •

لقد فهم الذئب أنه لن ينال شيئا عن طريق التهديد ، فهو لهذا طلب العفو عن حـدته ، وحـاول الالتماس • وبينما كان يتكلم غشـى نظراته الحنان ، ونامت اذناه ، وبدا أنفه الذى كان يسنده الى الشباك ، بوزا مسطحا مثل بوز البقر •

- فقالت الصغرى الشقراء : ها أنت ذى ترين جيدا أنه ليس شريرا •
- فأجابت دلفين : ربما ، ربما •

وبما أن صوت الذئب قد أصبح التماسيا فان مارنت لم تستطع المقاومة ، وسارت نحو الباب ، ففزعت دلفين واستوقفتها بخصلة من شعرها وتبادلتا اللطمات •

كان الذئب يضطرب بيأس وراء الزجاج ، قائلا انه يؤثر أن ينصرف على أن يكون سببا لخصام بين أجمل شقراوين رآهما • وترك الشباك فعلا وابتعد يهزه نحيب شديد •

- وقال مفكرا : ما أشقانى ، أنا الخير جدا ، الحنون جدا ••• لا ترغبان فى صداقتى ولو (رغبتما) لأمكن أن أكون أحسن وأحسن ، ولا أعود آكل حتى الحملان •

كانت دلفين تنظر الذئب منطلقا يعرج على أطراف ثلاثة ، مرتعدا بسبب البرد والأسى ، فأخذتها الشفقة ووخز الضمير فصاحت من الشباك :

- ذئب ! لن نخافك ••• تعال سريعا لتتدفأ !

بينما كانت الاكثر شقرة قد فتحت الباب وخفت للترحيب بالذئب •

- فتنفس الذئب وقال : يا رب ما أمتع أن يقعد الى النار ، ليس هناك ما هو خير من الحياة العائلية • وذلك رأيى دائما •

كاد ينظر بعينيه المغرورقتين بالحنان الى الطفلتين اللتين انزوتا بخجل ، وبعد أن مسح مخلبه الوجيع ، عرض بطنه ثم ظهره على النار • وبدا يقص حكايات واقتربت الطفلتان تصغيان الى أحاديثه عن مخاطرات الثعلب والسنجاب والخلد وأرانب حد الغابة الثلاثة • وكان منها المستطرف جدا بحيث اضطر الذئب لان يعيدها مرتين وأحيانا ثلاثا •

وكانت مارنت قد أسرعت فأمسكت صديقها من رقبته مستأنسة بجر

ادنيه المدببتين والعبث بشعره • أما دلفين فقد كانت بطيئة الالفة : ولم تتأخر عن أن تلاحظ ـ عندما حشرت كفها الصغيرة ، اول مرة ، فى فم الذئب ـ على سبيل الهزل :

ـ آه ! ما أطول أسنانك •••

وتضايق الذئب كثيرا بحيث غطت مارنت رأسه بذراعيها •

ومنعه الادب من أن يصرخ لما يعانيه بطنه من جوع شديد •

ـ وفكر مرتاحا : لم أكن لاصدق انى أستطيع أن أكون خيرا الى هـذه الدرجة •

وبعد أن قص كثيرا من الحكايات ، عرضت عليـه الصغيرة أن يلعب معهما • فقـال :

ـ ألعب ؟ ولكنى ، أنا ، لا اعرف اللعب • أنا •

وفى مدة قصيرة تعلم أن يلعب « اليد الحارة » و « الدائرة » و « الكرة المستقرة » و « الكورت المريض » • وكان يغنى بصوت جهورى أغنية « عمو گويري » أو « آه تور ، حذار » وكان فى المطبخ ضجيج وتدافع وصياح وضحك شديد وكراسى مقلوبة • ولم تبق بين الاصدقاء الثلاثة أية كلفة • وكانوا يتخاطبون كما لو كانوا متعارفين من قبل •

ـ ذئب ، انت الذى تحزر !

ـ لا ، انت ! تحركت ، تحركت •

ـ قصاص على الذئب !

ولم يضحك الذئب فى حياته كلها كما ضحك اليوم ، كان يضحك ضحكا يخلع الفكوك •

وكان يقول : ما كنت لاعتقد أن اللعب مؤنس بهذا القدر • انه لمن المؤسف ألا أستطيع اللعب كل يوم !

ـ فتقول الصغيرتان : ولكنك يا ذئب ، تستطيع أن تعود ، ان أبوينا يخرجان عصر كل خميس ، فترقب خروجهما وتعال فانقر الزجاج كما فعلت منذ قليل •

وختاما ، لعبوا « لعبة الحصان » وكان ذلك لعبا مبهجا • مثل فيه الذئب الحصان ، وركبت الاكثر شقرة على ظهره كما يركب على الحصان ، بينما قبضت دلفين على ذيله واقتادت العربة بسرعة فائقة بين الكراسى ، وكان الذئب يطلب احيانا الاذن بالتنفس ، فقد كان لسانه يتدلى ، وبوزه يتشقق حتى اذنيه وهو متعب من الجرى والضحك الذى يبرز اضلاعه • وكان يقول بصوت متقطع :

ـ راحة ! دعانى أضحك ••• لم أعد قادرا ••• آه ! لا ، دعانى أضحك !

وحينئذ نزلت مارنت عن الحصان وسيبت دلفين ذيل الذئب ، وجلسوا على الارض وضحكوا كما شاؤا حتى كادوا يختنقون •

انتهى اللعب حوالى المغرب اذ وجب التفكير فى اخراج الذئب • وقد كادتا تبكيان ، وتوسلت الاكثر شقرة :

ـ ابق يا ذئب معنا ، سنلعب ايضا ، ولن يقول أبوانا شيئا ، وسترى ••• فقال :

ـ آه ، لا ! ان الآباء عقلاء أكثر مما يجب وهم لذلك لا يستطيعون أن يفهموا أن الذئب يمكن أن يكون خيرا ، أنا أعرف الآباء •

ـ وأيدت دلفين : أجل ، من الافضل ألا تتأخر ، انى لأخشى أن يحل بك مكروه •

افترقوا ، وضرب الاصدقاء الثلاثة موعدهم الى الخميس التالى • وكانت وعود وعبارات ودية ، واخيرا ، عندما انتهت الاكثر شقرة من عقص

بشريط أزرق حول رقبة الذئب ، انفلت فى الريف وتوغل فى الغاب .

ما زال طرفه الموجع يؤلمه ، ولكنه عندما فكر بالخميس القادم الذى سيقوده الى رفقة طفلتين ، تمتم من غير اهتمام لاساءة الغربان المهومة على الاغصان العالية :

عمو گويري

انتظر الموت دون أن تستنجد أحدا

عند عودة الابوين الى البيت استنشقا على عتبة المطبخ :

ـ نشم هنا ما يشبه رائحة الذئب .

ورأت الصغيرتان انهما مضطرتان الى الكذب والى أن تظهرا بمظهر المستغرب ، وهذا هو الذى يحدث عندما يستقبل الاطفال الذئب خفية عن آبائهم .

ـ فاحتجت دلفين : كيف تستطيعان أن تشما رائحة الذئب ؟ لو دخل الذئب المطبخ لأكلنا .

ـ وأيدها الاب : هذا حق ، لم افكر به . لأكلكما الذئب .

ولكن الاكثر شقرة التى لا تستطيع أن تكذب كذبتين متتاليتين ، آلمها أن يتجاسر امرؤ فيتكلم على الذئب بهذا القدر من الظلم . فقالت وهى تضرب الارض بقدمها :

ـ ليس هذا صحيحا ، ان الذئب لا يأكل الاطفال . وليس صحيحا كذلك أنه شرير . والدليل ...

ان دلفين ـ لحسن الحظ ـ ركلتها ، والا قالت كل شيء .

وزيادة على ذلك ، بدأ الابوان حديثا طويلا كان موضوعه المهم ضراوة الذئب . وأرادت الام أن تنتهز الفرصة لتقص مجددا حكاية « القبعة الحمراء » ولكنها ، ما كادت تبدأ الكلمات الاولى حتى وقفتها مارنيت :

ـ هل تدرين يا ماما ان الاحداث لم تقع كما تعتقدين • ان الذئب لم يأكل الجدة قط • انك تعلمين جيدا بأنه لا يثقل معدته قبل أن يأكل صبية صغيرة طرية جدا • وأضافت دلفين :

ـ ثم انه لا يمكن ان يحاسب على ذلك دائما وابدا •••

ـ انها حكاية عتيقة •

ـ من آثام الصبا •

ـ ولكل ذنب مغفرة •

ـ ولم يبق الذئب كما كان فى الزمن القديم •

ـ وليس من الحق أن نثبط النيات الحسنة •

لم يصدق الابوان اذنيهما •

وقطع الاب هذا الدفاع المخزي وأنب بنتيه على طيش التفكير • ثم اجتهد فى أن يبرهن ، بالامثلة التى أجاد اختيارها ، على أن الذئب هو الذئب وليس من سبيل الى الامل برؤيته يتحسن ويصبح يوما ما حيوانا مسالما • انه سيكون أكثر خطرا •

بينما كان الاب يتكلم ، كانت الصغيرتان تفكران بالالعاب المسلية ، كلعبة الحصان الممتعة ولعبة الكرة المستقرة مما لعبتاه عصر هذا اليوم ، وتفكران بفرح الذئب الذى كان يضحك فاتحا فاه حتى يكاد نفسه ينقطع •

ـ واستنتج الاب : من الواضح جدا أنكما لم تعرفا الذئب عن قرب قط •

ـ وعندئذ ضربت الاكثر شقرة اختها بمرفقها ، وانفجرت الصغيرتان عن ضحك شديد فى وجه ابيهما • ولكى تعاقبا على هذه الوقاحة فقد اجبرتا على النوم من غير عشاء • ولكنهما بعد أن أدخلتا فى فراشهما ، ظلتا تضحكان من سذاجة أبويهما •

ولكى تتصبر الصغيرتان على الجزع لبعد صديقهما ، وبقصد السخرية التى لم تكن دون أن تؤذى امهما ، فانهما تخيلتا ـ فى الايـام التاليـة ـ « لعبة الذئب » ، وكانت الاكبر شقرة تغنى على لحنين :

« لنتنزه فى عرض الغابة خلال المدة التى يغيب فيها الذئب . أأنت فيها ياذئب ؟ أتسمعنى ؟ ماذا تفعل ؟ »

وبينما كانت دلفين مختبئة تحت منضدة المطبخ تجيب « أرتـدى قميصى » كانت مارنت تعيد السؤال بقدر ما كان ضروريا للذئب لان يرتدى كل قطع بزته : من الحذاء حتى السيف الكبير . وحينئذ وثب عليهـــا وافترسها .

كل متع اللعب كانت فى غير المنتظر ، لان الذئب لا ينتظر دائما لان يكون تام المظهر كى يخرج من الغابة . وكثيرا ما وثب على فريسته من غير ملابس أو بقبعة الرأس وحدها .

لم يقدر الابوان كل مباهج اللعب وتضايقا من سماع التكرار الممل ، ولهذا فقد منعاه فى اليوم الثالث مدعين بأنه ثقيل على مسامعهم . ومعلوم أن الصغيرتين لم تكونا لترغبا فى لعبة اخرى ، ولذا ظل البيت صامتا حتى يوم الموعد .

كان الذئب قد أمضى كل الصباح فى غسل بوزه ، وتلميع شعره ، ونفش شعر رقبته وبدا من الجمال بحيث ان ساكنى الغابة كانوا اذا مروا به لم يعرفوه لاول وهلة .

عندما بلغ السهل سأله غرابان صغيران كانا يتثاءبان شأنهما بعد كل غداء : لماذا كان جميلا جدا . فأجابهما :

ـ سأري صديقتى . موعدنا قبيل العصر .

ـ لابـد من أن تكونـا جميلتين جـدا حتى أغرقت فى الزينة هـذا الاغراق .

ـ لا شـك فى ذلك ! انكمـا لا تجـدان فى السـهل كلـه من يشابههما شقرة .

واصل الغرابان الصغيران اعجابهما وهما يتثاءبان . ولـكن عقعقة عجوزا نقابة كانت تصغى الى المحادثة ، لم ترتدع عن أن تضحك متهكمة .

ـ ذئب . أنا لا اعرف صديقتيك ، ولكنى متأكدة بانك قد اخترتهما مكتنزتين جدا وطريتين جدا ... او انى أخطىء كثيرا .

ـ فصاح الذئب غضبان : صه . ايتهـا الثرثارة . على هـذا قامت شـهرتك ، على الثرثرة المعروفة عن عقعقة عجوز . انى لحسن الحظ مطمئن الضمير .

عندما بلغ الذئب البيت لم تكن به ضرورة لان يقرع على الزجاج ، فقد كانت الصغيرتان تنتظرانه على عتبة الباب . وتبادلوا القبل طويلا ، بحنـان أكثر من المرة السـابقة ، لان اسـبوعا من الغيبـة جعـل صبر الاحبة ينفد .

ـ وقالت الاكثر شقرة : آه ! ذئب . ان البيت كان حزينـا هـذا الاسبوع ، وقد تحدثنا عنك طوال الوقت .

ـ وهل تعلم ، يا ذئب ، ان الحق كان معك ؟ ذلك ان ابوينا عاقبانا بالنوم من غير عشاء .

ـ ومنعانا يوم الاحد من أن نلعب « لعبة الذئب » .

كان للاصدقاء الثلاثة من الاحاديث ما منعهم طويلا عن أن يفـكروا بالالعاب . لقد جلسوا بالقرب من الموقد . ولم يدر الذئب لاية جهة يدير

رأسه • كانت الصغيرتان تريدان معرفة كل ما فعل خلال الاسبوع ، وكانتا تريدان أن تعرفـا أأصابه البرد ، أشفى مخلبـه ، ألقى الثعلب والحجل والخنزير الوحشى •

ـ قالت مارنت : ذئب • عنـدما يأتى الربيـع ستقودنا فى الغابات بعيدا ، هناك حيث كل أصناف الحيوانات • ولا يخاف من كان فى صحبتك •

ـ فى الربيع ، اى طفلتى الحلوتين لن نلقى فى الغابات ما يخيف • وحتى يحين ذلك الفصل سأعظ زملاء الغاب لان يصبح الاكثر ضراوة منهم ناعما كالفتيات • هاكما : ليس أبعد من أمس الاول ، لاقيت الثعلب وهو حديث عهد بافتراس دجاجة ، فقلت له ان هذا لا يجب أن يستمر هكذا • يجب أن يغير نمط حياته • آه ! لقد وبخته ، من أجلكما ، بشدة ! أتدريان بماذا أجابنى ـ وهو الذى اعتاد المكر ؟ « ذئب ، لا أطلب الا أن أتخذك قدوة • وسنعود للكلام بعد قليل • وعنـدما تقيم البرهان ، وتؤيد قولك بالافعال ، لن أتأخر عن اصلاح حالى » هذا هو جوابه لى وهو على ما هو عليه من ثعلبية •

ـ وتمتمت دلفين : انك خير جدا •

ـ اوه ! أجل ، انا خير ، ولا مجال للمناقشـة • ومع ذلك انظرا كيف ان ابويكما لا يصدقان ابدا • انى لأتألم كلما فكرت فى ذلك •

ولاجل أن تسرى مارنت عنـه الهم الذى سببته له هـذه الفكرة ، اقترحت « لعبة الحصان » ، وانصرف الذئب الى اللعب بشوق أشد مما كان عليه فى الخميس السابق • وعندما انتهت لعبة الحصان ، سألت دلفين :

ـ ذئب ، لو لعبنا لعبة « الذئب » •

كانت اللعبة جديدة عليـه ، لذا فقـد وضحت له القواعد • وكان

طبيعيا أن يكون مرشحا لدور الذئب • وبينما كان مختفيا تحت المنضدة ، كانت الصغيرتان تمران وتكران المرور أمامه وهما تغنيان الدور :

« لنتنزه فى عرض الغابة خلال المدة التى يكون فيها الذئب غائبا • هل انت فيها يا ذئب ؟ أتسمعنى ؟ ماذا تفعل ؟ » •

كان الذئب يجيب وهو يمسك اضلاعه من الضحك ، وصوته مختنق :

ـ البسى لباسى •

كان يقول وهو ضاحك : يلبس سرواله ثم شياله وياقته وصداره • وعندما انتهى من لبس حذائه ، بدأ يصيح جادا • وقال :

ـ أشد حزامى • وانفجر بضحك قصير ، فقد بدأ يشعر بعدم ارتياح وبقلق يضيق نفسه ، وحكت اظفاره بلاط المطبخ •

كانت افخاذ الصغيرتين تمر امام عينيه وتكر المرور ، وسرت رعدة فى فقرات ظهره وتقلصت شفتاه •

ـ ••• ذئب ، هل انت فيها ؟ أتسمعنى ؟ ماذا تفعل ؟

ـ فأجاب بصوت أجش : انتطق سيفى الكبير • وكانت الافكار تعترك فى رأسه وصار لا يرى افخاذ الصغيرتين بل يشمهما •

ـ ••• ذئب ، هل أنت فيها ؟ أتسمعنى ؟ ماذا تفعل ؟

ـ أمتطى الحصان وأغادر الغابة !

وهنا أرسل الذئب عواء شديدا وقفز من مخبئه ، فاغرا فمه ، مظهرا أظفاره ، وابتلع الصغيرتين قبل أن تجدا الوقت الكافى للخوف •

ان الذئب ـ لحسن الحظ ـ لم يعرف كيف يفتح الباب ، فبقى سجينا فى المطبخ • ولما عاد الابوان لم يجدا الا أن يشقا بطنه لانقاذ الصغيرتين • وكان هذا فى الواقع من قواعد اللعب •

وصحيح أن دلفين ومارنت تنقمان قليلا عليـه لانه أكلهما من دون مراعاة للحقوق ولكنهما أنستا كثيرا باللعب معه حتى انهما التمستا ابويهما الى أن يطلقاه • فخاط بطنه خياطة محكمة بمترين من القنب المشمع ومخيط كبير • وكانت الصغيرتان تبكيان لما كان يلاقى من آلام ولكن الذئب كان يقول وهو يمسك دموعه :

ـ أستاهل ولا شك • انتما طيبتان أكثر مما يجب • أقسم لكما انى لن أكون فى المستقبل على هذه الدرجة من الشراهة • وانى سأهرب من الاطفال ان لقيتهم •

واعتقد أن الذئب قد حفظ عهده • ولم يسمع ـ على كل حال ـ منذ حادثته مع دلفين ومارنت أنه أكل طفلة •

قصة انكليزية

ثلاثة على مائدة

كتبها : القاص الانكليزى دبليو . دبليو . جيكوبز
ترجمها : الدكتور صفاء خلوصي
الاستاذ فى دار المعلمين العالية

نبذة عن القاص :

يعتبر وليم وايمارك جيكوبز من خيرة القصاصين الانكليز فى القرن العشرين • ولد سنة ١٨٦٣ واشتهر بكتابة الاقصوصة من جهة وبمقالاته الفكاهيــة من جهة اخرى • وقــد اصــدر عدة مجاميع قصصية منهــا : MANY CARGOES « عدة شحنات » (١٨٩٦) و "A MASTER OF CRAFT" « استاذ مهنة » (١٩٠٠) و "NIGHT WATCHES" « مراقبــات الليل » (١٩١٤) • ووضع قصصــا طويلة من نمط قصص الخوارق أشهرهــا : "THE MONKEY'S PAW" « مخلب القرد » وقد مثلت على المسرح بالاضافة الى قصة اخرى عنوانهــا : BEAUTY AND THE BARGE « الجمال والقارب » • وأدرك القــاص الاجل سنة ١٩٤٣ فهو من المخضرمين الذين أمضوا شطرا من حياتهم فى القرن التاسع عشر وشطرا فى القرن العشرين على أنه يعد من كتاب القرن الاخير دون شك وان كانت عليه بقايا من مسحة القرن الماضى •

* * *

كان الحديث فى المقهى يدور حول الاشباح والرؤى ؛ وقد قدم كل من حضر على وجــه التقريب نصيبــه الضئيل فى هــــذا الموضــوع غــير الواضح ـ والبالى الى حد ما !

وقــد تبــاينت الآراء فتفاوتت بين عــدم التصديق المحض والايمان الطفولى ، وشط الامر بأحد المؤمنين بها فاعتبر عدم التصديق بها ضربا من الكفر وأشار الى قصة « ســاحرة أمندور » التى ظهرت مشــوهة نوعا ما لتعقيدها باسلوب لا يمكن ايضاحه ، وكذلك الى « قصة يونس » ، ثم اضاف قائلا بوقار تمازجه البهجة لاهماله الاجابة عن عدة اسـئلة طرحت عليه

حول الموضوع بكل لهفة : « وعلى ذكر يونس انظروا الى الحكايات الغريبة التى يقصها علينا البحارة » فرد عليه رجل متعجرف حليق الوجه كان يصغى اليه طوال الوقت دون أن يتكلم كثيرا : « أنا لا انصحك بأن تصدق كل هذه فالظاهر ان الناس يتوقعون من البحار حين ينزل الى البر ان يروى لهم شيئا ، وان اصدقاءه ليمنون بالخيبة فيما لو أخلف ظنهم » فقاطعه المتكلم الاول قائلا بكل حزم : « انها لحقيقة معروفة ان البحارة عرضة لمشاهدة الرؤى الغريبة » فاجاب الآخر بجفاف : « انهم لكذلك ، وهم على العموم يرونها مزدوجة ، وكثيرا ما تحدث الصدمة للجهاز العصبى صداعا فى صباح اليوم التالى » فقال احد المنكرين لمثل هذه الاشياء : « وانت نفسك ... ألم تر شيئا من هذا القبيل ؟ » فاجاب الآخر : « ايها الناس ، شيبا وشبانا ، لقد قضيت فى البحر ثلاثين عاما وان الحادثة المزعجة الوحيدة من هذا النوع حدثت لى فى ريف انكليزى هادىء فسأله رجل آخر : « وما هى ؟ » .

فشرع المحدث الاول يقول وهو يرشف غليونه ويوزع بين الحاضرين نظرات تتجلى فيها الطيبة والوداعة :

« كنت يومها شابا وقد عدت توا من بلاد الصين ، ولما كانت اسرتى قد سافرت فقد ذهبت الى الريف لاقيم مع عم لى وعندما بلغت منزله وجدته مغلقا والاسرة قد سافرت الى جنوب فرنسا ؛ بيد انه لما كان من المقرر أن يعودوا فى ظرف يومين عزمت على الاقامة فى فندق مقبول جدا يعرف بـ « رويال جورج » ريثما يعودون .

ولقد أمضيت اليوم الاول على خير ما يرام ، غير انه فى المساء أخذت كآبة المكان القديم المتداعى الذى كنت فيه الضيف الوحيد تثقل على فخرجت فى اليوم التالى بعد طعام فطور متأخر مصمما على القيام بمسيرة نهار كله نشاط وحيوية .

خرجت بروح نشطة فقد كان النهار مشرقا باردا مع شيء من الثلج الناعم على « الطرابزينات » الحديدية وحواجز الحدائق فى الطريق ، واوحى لى الريف بكل ما فى الطرافة من سحر ، وكان فى الحقيقة مستويا لا اثر للارتفاعات والنتوءات فيه على رغم وجود خشب كثير ، وكانت القرى التى مررت بها قديمة جذابة .

وتناولت طعام الغداء على احسن ما يكون وكان مؤلفا من الخبز والجبن والجعة فى حانة فندق صغير ، وصممت على أن أتوغل فى الريف اكثر مما فعلت قبل ان اعود ، وعندما وجدتنى قد توغلت فى الريف الى حد كاف انحرفت الى زقاق يكون زاوية قائمة مع الشارع الذى كنت أسير فيه . وعزمت على أن أجد طريقا للعودة غير الطريق الذى جئت منه فقد كان طريقى السابق طويلا مستقيما دون انحراف نحو اليمين او الشمال ، أما هذا الثانى فقد كانت له طرق فرعية عديدة متصلة به ولكل منها طرق ثانوية اخرى تفضى على العموم ـ كما وجدت فيما بعد بتجربة اثنين او ثلاثة منها ـ الى المستنقعات الواسعة ، وعندما تعبت من الطرق الضيقة عزمت على أن اعتمد على البوصلة الصغيرة التى كانت معلقة فى سلسلة ساعتى وان اقطع طريقى عبر الريف الى منزلى .

وتوغلت الى حد ما فى المستنقعات عندما اخذ ضباب ابيض كان يحوم بعض الوقت حول حوافى الخنادق ينتشر تدريجيا . ولم يكن هناك مفر منه ، غير اننى استطعت بمعونة البوصلة ان أنجو من القيام بجولة دائرية فوقعت بدلا من ذلك فى خنادق متجمدة وتعثرت بجذور عتيقة بين الاعشاب . على اننى احتفظت بخط مسيرى حتى الساعة الرابعة عندما أخذ الليل يسرع الخطى ليعير الضباب يد العون والمساعدة اذذاك بدأت أميل الى الاعتراف بأننى قد ضللت السبيل .

ولم تعد البوصلة تنفعنى الآن فجعلت اهيم على غير هدى شقيا حزينا صارخا صرخات متقطعة بين الحين والحين عسى أن يسمعنى راع أو فلاح قد يمر بالمنطقة • واخيرا ساقنى حظ خارق الى أن أطأ بقدمى ارضا صلبة تخترق المستنقعات واستطعت أن التزم هذا الطريق بالمسير عليه ببطء والنقر بعصاى واستمررت على هذه الشاكلة مدة من الزمن حتى سمعت وقع خطوات تقترب منى •

وقف كلانا عندما التقينا ، ولما علم القادم الجديد ـ وهو رجل ريفى يبدو شديد الاسر ـ بما وقعت فيه من ورطة ، عاد معى لمسافة تقرب من الميل ، ثم أشار الى أن اسلك طريقا معينة بعد أن اعطانى تعليمات تفصيلية عن كيفية الوصول الى قرية تبعد حوالى الثلاثة أميال • كان التعب قد بلغ منى مبلغا بحيث ان الاميال الثلاثة لاحت عشرة ، وفضلا عن ذلك لمحت على مقربة من الطريق نافذة فيها نور خافت • فاشرت اليها ولكن صاحبى هز كتفيه والتفت حواليه بعدم ارتياح وقال باستعجال :

« لن تحصل على ما يجديك هناك » •

فسألته : « ولم لا ؟ » •

فاجاب : « هناك شيء ما يا سيدى ••• ما هو ؟ هذا ما لا ادريه ! فالفتى الصغير الذى يشتغل عند حارس الطيور يذهب الى هناك بحكم معيشته فى هذه النواحى الا أن هيئته لم تعد طبيعية بعد فترة من الزمن • ويقول بعضهم : « ان احد المجانين يسكن هناك » ويقول آخرون : « بل هو ضرب من الحيوان » وأيا كان الامر فهو مما لا يحسن رؤيته •

قلت : « اذن ساستمر فى طريقى ••• طابت ليلتك ! » •

فرجع يصفر بمرح حتى تلاشى وقع خطاه فى المسافة البعيدة • فتبعت

الطريق الذى أشار اليه حتى رأيته يتفرع الى ثلاث طرق كل منها يلوح للغريب كما لو كان يفضى الى حيث يريد • وقد شعرت الآن بالبرد والتعب وبعد أن صممت شبه تصميم عدت ببطء متجها صوب المنزل •

كان كل ما رأيته منه لاول وهلة لا يتعدى بقعة النور فى النافذة فقصدتها حتى اختفت فجأة فوجدتنى اصطدم بسياج عال فتلمست طريقى حوله حتى وصلت الى باب واطىء صغير ، وبعد أن فتحته بحذر سرت بشىء من الخوف فى ممر ضيق طويل يفضى الى الباب الرئيسى ولم يكن ثمة من نور أو صوت فى الداخل • واحسست بما يشبه الندم بسبب خوفى وجبنى فأمسكت بنهاية عصاى وطرقت الباب طرقا خفيفا •

انتظرت دقيقتين وطرقت الباب ثانية واستمرت عصاى بالطرق على الباب عندما فتح بغتة فجابهتنى عجوز مديدة القامة قد برزت عظامها وبيدها شمعة •

سألتنى بفظاظة : « ماذا تريد؟ » •

فأجبتها بأدب : « لقد ضللت الطريق وأنا اريد العودة الى آشفيل » •

فقالت العجوز : « لا اعرفها ! » •

كانت على وشك أن توصد الباب بوجهى عندما خرج رجل من غرفة الى جانب المدخل وتقدم نحونا • كان شيخا طوالا عريض المنكبين تكلم ببطء وقال : « ان آشفيل على مسافة خمسة عشر ميلا » •

قلت : « اذا تفضلت فارشدتنى الى أقرب قرية ، فسأكون ممتنا » •

فلم يجبنى بل تبادل نظرة سريعة خفية مع العجوز التى اومأت بالرضى ثم قال :

« ان أقرب مكان هو على بعد ثلاثة اميال ! » قال ذلك وهو يلتفت الى

ويحاول على ما يظهر أن يرقق صوتا خشنا بطبيعته ، ثم اضاف : « فاذا رغبت فى أن تمنحنى متعة صحبتك فسأجعلك مرتاحا جهد امكانى » .

لقد ترددت اذ كانا فى مظهرهما أغرب زوجين على وجه التأكيد ، ولم تكن الصالة المعتمة بظلالها التى تقذف بهـا الشمعة أكثر جاذبية من الظلمة خارج البيت .

قلت بفتور : « انك انسان جد عطوف ، ولكن ــــــ » .

فرد على عجل : « تفضل ادخل ... اغلقى الباب يا آن » .

وقبل أن اسـتطيع تبين أمرى وجدتنى واقفـا داخل المنزل وكانت العجوز التى تتمتم مع نفسها قد اغلقت الباب خلفى فتبعت مضيفى الى الغرفة وانا أحس بشعور غريب ... كمن وقع فى فخ ! جلست على الكرسى الذى قدم لى وادفأت اصابعى المتجمدة امام الموقد .

وبعد أن فحصنى الشيخ من كثب قال لى : « ان العشاء سيكون جاهزا فى الحال ... والآن ارجو أن تسمح لى بمفارقتك دقيقة ! » .

احنيت رأسى له بالايجاب فغادرنى ؛ وسمعت بعد دقيقة اصواتا كانت مزيجـا من صوت العجوز وصوته ، بل وتصورت صوتا ثالثا خالطهما . وقبل أن انهى فحص الغرفة عاد الشيخ ونظر الىّ بنفس النظرة الغريبة التى لمحتها من قبل . واخيرا قال لى : « سنكون ثلاثة على مائدة العشاء ، نحن الاثنين وولدى » .

احنيت رأسى ثانية وودت فى سرى ألا تكون تلك النظرة شائعة فى جميع أفراد الاسرة .

وفجـأة أضـاف قائلا : « اعتقد انك لا تمانع فى تنـاول العشـاء فى الظلام » .

قلت وأنا احاول اخفاء دهشتي قدر استطاعتي : « لا ، مطلقا ... ولكنني في الحقيقة أخشى أن اكون متطفلا . فاذا سمحت لي ـــــ » .

فهز يديه الضخمتين المعروقتين وقال بضحكة جافة : « لن نتركك تفلت من أيدينا الآن وقد ظفرنا بك ؟ فنحن قلما نحصل على صحبة ضيف . أما الآن وقد حصلنا عليك فسنحتفظ بك ... ان بصر ولدي ضعيف فهو لا يحتمل النور . آه قد جاءت آن » .

دخلت العجوز حالما نطق الشيخ بهذه الكلمات . وجعلت ـ بعد أن اختلست النظر اليّ ـ تفرش غطاء المائدة ، بينما أخذ مضيفي كرسيا في الجانب الثاني من الموقد وجلس يحدق النظر في النار بصمت .

بعد أن انتهت العجوز من اعداد المائدة جاءت بطيرين مشويين وقد قطعا في طبق ووضعت حول المائدة ثلاثة كراسي ثم ولت تاركة الغرفة . وتردد الشيخ لحظة ثم نهض من كرسيه ووضع حاجزا كبيرا امام النـار وجعل يطفيء الشموع ببطء ، ثم قال مداعبا : « انها حفلة الرجل الاعمى » واخذ يتلمس طريقه الى البـاب حتى فتحه ... ثم عاد الى الغرفة ومعه شخص آخر ، بكل بطء واحجام ، أخذ هذا القادم الجديد كرسيا وجلس الى المائدة ، وما عتم ان مزق أغرب صوت سمعته في حياتي حجاب سكينة كانت قد غدت مزعجة ، وكانت الكلمات التي خرجت من فيه ببطء ليست اكثر من : « انها ليلة باردة ! » فأجبت بالايجاب ؛ وسواء كان ثمة نور ام لم يكن فقد عكفت على الاكل بشهية ازدادت ضراوة باللقمة اليسيرة التي تناولتها في منتصف النهار ، وقد كان من الصعب عليّ الى حد ما أن اتناول طعامي في الظـلام ، وبدا لي من تصرف زميلي غير المرئيين انهما مثلي لم يعتادا الاكل على مثل هذه الحال غير الطبيعية . فتناولنا طعامنا بصمت الى

أن اندفعت العجوز الى الغرفة حاملة بعض الحلويات ووضعتها على المائدة محدثة صوتا مزعجا • وهنا سألنى الصوت الغريب قائلا : « أغريب انت هنا ! » فأجبت : « نعم » وتمتمت بضع كلمات تعبر عن حسن طالعى فى العثور على مثل هذا العشاء الفاخر ، فقال الصوت بحزن : « ان عبارة : « العثور على » عبارة حسنة جدا فى هذا المقام ••• ولكن نسيت الشراب يا ابت ! » •

فقال الشيخ وهو ينهض من مكانه : « نعم ، لقد نسيت ـ نسيت زجاجة الاحتفال بهذا اليوم ، سآتى بها بنفسى » وتحسس طريقه الى الباب ثم أغلقه وراءه تاركا اياى وحيدا مع جارى غير المرئى • لقد كان فى الامر شىء غريب جدا بحيث ينبغى لى أن اعترف باننى شعرت بأكثر من شعور بسيط بعدم الارتياح • ولاح لى ان مضيفى تغيب وقتا طويلا ، وسمعت الرجل قبالتى يضع الشوكة والملعقة من يديه ، واستطعت بما يشبه الحدس والتصور أن أرى عينين وحشيتين تلمعان فى الظلام كعينى قطة •

وبشعور متزايد من عدم الارتياح دفعت كرسيى الى الوراء فاشتبكت ساق الكرسى بالسجادة المنبسطة امام الموقد ، وعندما حاولت سحبها سقط الحاجز الموضوع امام الموقد محدثا صوتا غليظا ؛ وفى ضوء النار المتقدة رأيت وجه المخلوق الجالس امامى • واختطفت انفاسى بسرعة تاركا كرسيى ووقفت الى جنبه واصابعى مقبوضة • « أرجل ام حيوان ! ••• ايهما هو هذا الكائن ! » وقفز اللهيب ثم انطفأ ، ولاح المخلوق الغريب امام الوهج الاحمر للنار أكثر شيطانية من ذى قبل •

ولبضع لحظات جعلنا يمعن بعضنا النظر فى بعض ، ثم انفتح الباب وقد عاد الشيخ فوقف مشدوها عندما لمح ضوء النار الدافئة ، وبعد أن

اقترب من المائدة بصورة آلية وضع عليها زجاجتين من النبيذ فقلت بعد أن رد حضوره الطمأنينة الى نفسى : « استميحك عذرا فقد قلبت الحاجز خطأ ، فاسمح لى بأن اعيده الى مكانه السابق » • فقال الشيخ بلطف : « كلا ! ليبق فى موضعه فقد أخذنا كفايتنا من الظلام وسامنحك الآن شيئا من النور » • فأولع عود ثقاب وجعل يشعل الشموع ببطء فرأيت ان الرجل الجالس قبالتى لم يكن سوى بقايا وجه آدمى ، ولم يكن هذا الوجه الا وجها ذئبيا صارما بانت فيه عين واحدة لم ينطفىء نورها بعد وهى كل ما بقى من ملامح وكانت لا تزال تتألق • فهاجت فى نفسى العواطف قوية عنيفة وجعلت أشك فى حقيقة الامر • فقال الشيخ : « ان ولدى اصيب بتشويه قبل بضع سنوات فى حريق حدث فى بيت ومنذ ذلك الوقت عشنا حياة انعزالية • ولكنك عندما طرقت بابنا •••••• » وهنا أخذ صوته يرتعش ولم يستطع اتمام الموضوع فقال : « هذا هو •••••• ولدى ••• ! » •

فقال الابن ببساطة : « لقد فكرت أن من الافضل ألا احضر مائدة العشاء ولكن اليوم هو يوم ميلادى ولم يوافق ابى على تناول عشائى بمفردى ؛ لذلك فقد وضعنا الخطة الحمقاء لتناول العشاء فى الظلام • أنا آسف لاننى أرعبتك » •

فقلت وأنا أمد يدى عبر المائدة واقبض على يده : « انا آسف لحماقتى ••• ولكنك لم ترعبنى الا فى الظلام ! » وعندما لاحظت حمرة خفيفة تغطى خدى الشيخ وشيئا من الوداعة اللطيفة تعودان الى العين الوحيدة الشاخصة الى هنأت نفسى فى سرى على الملاحظة الاخيرة •

وما لبث الشيخ أن قال وكأنه يعتذر : « اننا لا نرى صديقا ابدا وقد كان اغراء الحصول على ضيف عظيما جدا بالنسبة الينا • والى ذلك فأنا

لا اعلم ماذا كنت تستطيع أن تفعل غير ما فعلت . فقلت : « ليس ثمة من شيء يماثل نصف ما فعلت حسنا وجودة . أنا متأكد من ذلك » . فقال مضيفي بروح يكاد يشيع فيه النشاط : « تعال ، فنحن الآن يعرف بعضنا البعض ... اقتربوا بكراسيكم نحو الموقد وليأخذ عيد ميلاد ولدى شكله اللائق » وجذب مائدة صغيرة نحو الموقد ليضع عليها الاقداح واخرج علبة من « السيكار » ... ثم وضع كرسيا للخادم العجوز وأمرها بحزم أن تجلس معنا وتشرب .

ولئن بدا حديثنا غير ذى ألق فان الحيوية لم تعوزه ... وفى وقت قصير اصبحنا جماعة مرحة كأية جماعة اخرى رأيتها من قبل ... وجعل الليل يسرع الخطى بحيث اننا لم نكد نصدق آذاننا عندما دقت ساعة الصالة ، فى فترة هدوء خلال محادثاتنا ، الثانية عشرة ليلا . فقال مضيفى وهو يقذف بعقب سيكارته فى النار ، متجها بنظره صوب المائدة الصغيرة :

« لنشرب آخر نخب قبل أن نأوى الى مضاجعنا » .

لقد تناولنا عدة اقداح قبل هذا ، ولكن كان هناك شيء رائع فى وضع الشيخ عندما نهض وتناول قدحه الاخير ؛ اذ لاح قوامه الفارع آخذا فى الطول أكثر فأكثر ، ورن صوته عندما حدق ببصره فى ابنه المشوه بكل فخر واعتزاز ، ثم قال وهو يفرغ كأسه فى جوفه بجرعة واحدة :

« اننى أشرب الآن نخب الاطفال الذين أنقذهم ولدى من الحريق ! » .

قصة ايطالية

قبلة الوداع

كتبتها : الكاتبة الايطالية كراتسيا دليدا *Gratzia Deledda*
الحائزة على جائزة نوبل سنة ١٩٢٧

ترجمها عن النص الفارسي : الاستاذ أحمد ناجي القيسي
الاستاذ المساعد في كلية الآداب والعلوم

سيدى المدعى العام !

انك تسألنى لماذا قتلت هذا الشاب ؟ وما الاسباب التى دعتنى الى ذلك • وهل من ارتباط بين هذه الجريمة التى ارتكبتها والجريمة الاخرى التى اقترفتهـا بنتى ؟

سيدى المدعى العام !

انى لا استطيع الـكلام ؛ لانى أخرس • وقد حـكم نصيبى علىّ بالسكوت ، كى تبقى الكلمات والعبـارات حبيسة فى صدرى ، ولا أقدر كما يصنع الآخرون ، أن أبعث الى نفسى بالهدوء ، وأن أسليها بالافصاح عما أكن • لهذا صممت أن أكتب اليك هذه الرسالة ، وأروى لك فيهـا قصة حياتى ، لا لكى أطلب ، بهـا منك العفو ، بل لأستسلم لحكم العدالة مهما يكن شديدا ، بالاعتراف الكامل •

والحقيقة انى الآن ، فى هذه السن ، لا أمل لى فى طيبات الحياة ، ولا فرق عندى بين أن أموت ميتة طبيعية ، وأن يحكم علىّ بالسجن المؤبد • لان الحياة بدت لناظرى كالصحراء المقفرة منذ تلك اللحظة التى فقدت فيها أعز الناس علىّ •

وهذه قصتى :

لقد كنت من اول شبابى ، ممثلا بارزا شهيرا ، ولا شك فى انك قد شدتنى ، على المسرح ، امثل أدوار العشاق ، وألبس لبوس (روميو) و (هاملت) و (بيكار) ، واسيطر على أرواح النظارة ونفوسهم • وأثير

أحاسيسهم ، ولكن القدر الظالم كان مملوءا صدره عليّ بالحقد ، فحطم آمالى ، فاذا ، بينى وبين مطيتى التى كانت تحملنى وتسير بى نحو المجد والفخار الفنى ، بون بعيد • فقد ماتت زوجتى على حين غرة ، وكنت أحبها الى حد الجنون ، فتحطم كيانى من تأثير هـذه الفاجعة ، فصرت لا أجد تسليتى الا فى جوار بنتى الوحيدة (بيانكا) ، فاحتلت (بيانكا) فى حياتى الداخلية مكان زوجتى • فحبوتها كل ما عندى من محبة وعلاقة وآمال •

وكنت اخالنى استطيع ، على هـذا النحو ـ أن أعيش سعيدا ، وان اوزع افكارى وعواطفى بين بنتى وفنى ، ولكن لم يشأ القدر الظالم أن يبعد عنى ضربته الثانية ، التى كانت أشد من الاولى وأكثر هولا •

لقد خرجت مع جمع من رفاقى للنزهة ، فسارت السيارة فى طريق لم ندر أنه ينتهى بهوة وحين أبصر بها السائق أراد أن يدير السيارة فجأة ، فانقلبت بنا ، فصرت تحتها ، ولم يبق شىء بينى وبين الموت • أجل ! لقد رأيت الموت بام عينى ، ولكن وا أسفاه ، لم يكن من نصيبى الموت ، فقد اصبت بمصيبة أسوأ من الموت الف مرة •

وحين ثاب اليّ رشدى ، وأردت ان اتكلم ، أحسست فجأة أن لسانى قد انعقد ، وأنى صرت عاجزا عن الكلام • فكنت أحاول أن أتلفظ بكلمة واحدة ، فلم استطع الى ذلك سبيلا •

أجل ! لقد كان تأثير تلك الصدمة ، على أعصابى ، عظيما ، الى حد أنه أحالنى ، فى لحظة ، الى انسان اخرس •

وهكذا سار كوكب حظى الى الافول ، وغشى مستقبلى الظلام ، فلم أر ، أنوار المسرح ، بعـد الآن • فكان لابد لى من ان اعتزل الفن ، وكان يقطع نياط قلبى ، ان ابقى فى البيت ، الى جانب بنتى بعيدا عن الاخرين •

وكانت (بيانكا) تعمل فى احدى المؤسسات ، فتدفع عنى ما تقتضى الحياة من مصروفات • ولم اكن احبها فقط ، بل كنت اعبدهـا ، وكنت اخاف دائما ان يدنس عفافها الشباب ، فكنت اسأل الله ان يعيننى على ان ازوجها شابا طيبا لائقا ، يعرف قدرها • ويستطيع أن يسعدها بحبه واخلاصه وما كنت اقدر ان اتصور ان تغفل (بيانكا) حتى لحظةواحدة عن ذكرى ، او انها تتركنى بدون اطلاع ، فتحب شخصا لا اعرفه ، وتخفى عنى مـا فى قلبها من أسرار •

وكانت (بيانكا) حسناء الى حد انها كانت تبهر العيون • ولكنها كانت متكبرة مغرورة ، وكانت تحب حريتها واستقلالها ، وكانت تحب ان تبنى مستقبلها بيدها • ولم تكن بى بالشفيقة • ولم تكن تهتم بما أبذل لها من نصائح وتوجيهات • وكانت تطيعنى فى الظاهر فحسب ، وكان هذا يؤلمنى أكثر • ولكنى كنت اغفر لها اخطاءها لانى كنت أرى قلبى يفيض لها بالحب •

وفى عصر يوم من الايام ، لن انساه ابدا ، كان كل شيء فى حياتى يتغير • فقد خيم على سماء حياتى الظلام ، وثار فيها رعد هائل مدو لم أكن انتظره ابدا : فقد اتت (بيانكا) الى البيت مشوشه الشعر ، جاحظة العين ، خائفة مرتعدة ، وسقطت عند قدمى تصرخ :

ـ « ابتى العزيز ! انقذنى ! »

فاضطربت جدا • وغضبت لعجزى عن الكلام ، فأمسكت بها من ذراعيها ، وانهضتها • وصرت احملق فى عينيها ، وتوسلت اليها ان تنبئنى بما يدور فى خاطرها ، فجلست على كرسى ، فقالت ، كغريق يلتمس النجاة من كل قطعة خشب تصل اليها يداه :

ـ « ابتاه يجب ان اعلمك بكل شيء • منذ هذه الحظة لم يبق لى فى

الحياة سواك • لقد ارتكبت جناية مخيفة ، في حال جنون ـ لم اكن اصدق ابدا انها تصدر مني • وقد اخفيتها عنك يوم امس ، اما اليوم فلا بد لي من الاعتراف : لقد كنت احب ـ الى حد الجنون ـ شابا من زملائي ، اسمه (آتريكو) محاسب المؤسسة • وكنت اصرف عليه ، كل ما كنت احصل عليه من نقود من عملي الاضافي ، بدون حساب • كنت احمل اليه الهدايا ، ابتاه ! انظر ! انظر الى هذه الاشياء الثمينة • لقد اشتريتها له منذ ايام ، ولشدة اضطرابي وخوفي ، نسيت ان اقدمها له •••• ،

وحينئذ توجهت (بيانكا) الى سريرها ، وأرتني لفاف رقبة أزرق اللون جميلا ، ورباطا احمر لماعا ، وقفازا من الجلد اللين الناعم ، وقالت ! « لقد دفعت ثمن كل هذا من اقتصادي وحرماني ، ولكن (آتريكو) ، ـ مع كل هذا ، خدعني ، لقد كان شابا مقامرا ، سكيرا شريبا ، مطيعا لاهواء نفسه ، ولم اهتم بكل صفاته هـذه ، فصممت على اصلاحـه ، واصطفائه زوجا فيما بعد ، غير انه ظل سائرا على نهجه الفاسد ، الى ان خسر في القمار مبلغا عظيما ، وكان قد سرق هذا المبلغ من خزانة المؤسسة ، وقد اتى الي (آتريكو) بعد هذه الواقعة ، وطلب مني العون ، وقال : انه ـ ان لم يبادر باعادة ما سرق من نقد الخزانة ، فسيعقب ، ويرمى به في السجن • وما أن اصغيت الى هذا الكلام حتى برق في ذهني خاطر ، وكان من الصعب علي ان اتخلى ، بسهولة ، عن شخص احبه ، خطر لي ان ابيع جواهري ، او ارهنها الا ان ثمنها لم يكن بالكافي ، فاحترت ماذا اصنع واي طريق اسلك ، والى من التجيء ! فان تفتيش الخزانة سيجرى غدا • فخطر لي خاطر : خطر لي أن أذهب الى عمي الثري البخيل المرابي ! فأثير فيه حس الرحمة ، والتمس منه ان يقبل رهن جواهري لديه وان يقرضني مبلغا من المال اجل ذهبت الى بيت عمي ، فرأيته جالسا خلف نضده ، مشغولا بعد نقود خزانته ،

بيدين مرتعشتين ناحلتين قد بدت منهما العظام •

واذ رأيت النقود ، طار صوابي ، فأغمضت عيني ، وألقيت بنفسي عند قدميه ، وصرت اقبلهما ، وصرخت وبكيت ، وقلت له ان اخاك مريض ، قد سقط في فراش الموت • واقسمت عليه بما كان يحب • ان يقرضني رحمة بي شيئا من المال ، الا انه رفض طلبي ؛ فقد كان رجلا ، بذيء الخلق ، فظا ، قاسي القلب • حتى انه حين رأى اصراري نهض ليطردني ، وفي هذه اللحظة ، اظلمت الدنيا في عيني ، ولم يكن يشغل فكري الا انقاذ (آتريكو) ، وبدون ارادتي اهويت على الشيخ القاسي القلب ، البخيل ، ففرست اظفاري في حلقومه ، فضغطت عليه بكل ما كان عندي من قوة حتى جحظت عيناه ، واصابت لسانه اللكنة ، وحنى راسه الاشيب على كتفي • وحينئذ توجهت الى الخزانة بشجاعة عجيبة ، ووضعت ما استطعت وضعه في جيبي من النقود ، وخرجت مسرعة الى بيت (آتريكو) ، ولكنني لفرط ما كنت فيه من اضطراب ، نسيت جواهري هناك •

فرأيت خادم عمي ، الشاب الاسمر ، في الزقاق ، وانا مسرعة في طريقي ، فسلم عليّ ، فرددت عليه جواب سلامه بخوف وارتعاش ، فألقى عليّ نظرة شك ، ودخل البيت وهو معلق في ذراعه سلة الفواكه التي كان قد اشتراها لعمي ••• وأمحت شيئا فشيئا صورة الخادم ، من مخيلتي ، وحلت محلها ملامح (آتريكو) ، وبعد قليل وصلت الى بيت (آتريكو) وما أن رأى (آتريكو) النقود ، حتى تألق وجهه فرحا ، فضمني الى صدره ، وأغرق عيني ووجهي بالقبل ، غير اني أخفيت عنه الحقيقة ، لئلا يرفض قبول النقود خشية أن يتهم بالمشاركة في الجريمة •

وحينذاك ذهبت به الى المؤسسة ، واجبرته على ان يفتح الخزانة

امم عيني ، وأن يعيد اليها المبلغ الذي كان قد أخذه منها . الآن نجا (آتريكو) ، أما أنا فلا أدري ماذا سيحدث لي اليوم أو غدا ، فان ورائي جريمة ، وان امامي وحشة وخوفا . وليس ، غيرك ، من يستطيع انقاذي من هذه المحنة المخيفة . . »

وسكتت (بيانكا) ، الا انها ظلت تتنفس بشدة ، وكنت احس في هذه اللحظة ان نياط قلبي تتقطع ، فضممت بنتي الى صدري ، وصرت افكر في وسيلة لنجاتها . ولكن ماذا يستطيع ان يفعل شيخ همّ ، محطم ، فقير ، غير ذي لسان ؟ ! وكانت الدنيا تعبس في وجهي ، وكانت قد سدت كل الطرق امامي ، فلم اجد الا طريقا واحدا ، اجل ! الا طريقا واحدا . لقد صممت ان افتدي ابنتي بروحي ، وان اذهب بسرعة الى (ادارة الشرطة) وان ادعي اني قد قتلت اخي وسرقت نقوده .

فاخرجت دفتري الصغير من جيبي ، وكتبت لابنتي (بيانكا) في هذا التصميم ، فصرخت صرخة عظيمة ، وقالت وقد تعلقت برقبتي : « لااريد ان تجعل نفسك فداء لي ولمعشوقي ... ابدا ... ابدا ... يجب ان نظلا حيين ، واذا حدث لا حدكما سوء فمحال ان ابقى انا حية . وسأقتل نفسي ، ولو ربطوني في غيابة السجن بالسلاسل . » .

وسكتت (بيانكا) قليلا . ثم أرسلت زفرة ، فصرخت :

« ها انذا اجن ، وانت لا تقدر ان تعمل من اجلي شيئا ، يجب ان اتحمل نصيبي المشؤوم ، ان اسلم نفسي الى الشرطة ، وان اعترف بجريمتي ، بدون ان يتوجه اي شيء من سوء الظن الى (آتريكو) ، اما عملك فهو هذا : اصغ الى اياك ان تتهم نفسك او ان تجر (آتريكو) الى ما نحن فيه ، اذا وقفوني عليك ان تتجاهل وتسكت ، والا فسأنتحر قبل ان يصدروا اي حكم علي . . »

وحينذاك اشارت الى الشال ، والربطة ، والقفاز ، واستمرت تقول :
« ينبغى أن تظهر نفسك بريئا ، وأن تسرع الى (آتريكو) حين تكون حرا ، تحمل اليه هذه الهدايا ذكرى لحبى ومفاداتى وايثارى له ... » .

فاظلمت الدنيا فى عينى . وأيقنت أن ابنتى ستهلك لا محالة . فخطر لى أن اخفيها واسهل لها أمر الفرار ، ومددت يدى فى جيبها باحثا عن النقود ، فصرخت بى : « لقد اعطيت كل ما كان عندى من النقود ، الى (آتريكو) ، ونسيت جواهرى فى غرفة عمى ... »

فصدرت من قلبى صرخة يائسة مؤلمة ، وأحسست انى صرت فى معركة هائلة مخيفة ، احارب يائسا كمحارب لا سلاح له .

وبلغ سمعى فى هذه اللحظة ، صـــرير الباب ، فارتعش جسمى وبقيت فى مكانى بدون حراك ، اما (بيانكا) فاسرعت الى الباب ففتحته ، فدخل مأمور الشرطة ، والخادم الاسمر الذى كان يعمل فى بيت اخى .

فتقدم الخادم ، واشار باصبعه الى ابنتى قائلا لمأمور الشرطة : « انها البنت نفسها التى رأيتها تخرج من بيتنا بعد قتل سيدى ... ان قاتل سيدى هو هذه البنت » . فتقدم المأمور ، وقال لـ (بيانكا) ــ وقد وضع يده على كتفها : « من واجبى ان اوقفك . »

ولم تبد (بيانكا) اضطرابا . بل تعلقت برقبتى واخذت تقبلنى بحرارة ، وهمست فى اذنى : « لاتنس . »

وحينذاك لفت الشال على رقبتها ، وسارت نحو الباب . وكأنما كانت الروح تخرج من جسمى ، فى هذه اللحظة ، و انهدت اعصابى دفعة واحدة ، واختلطت فى عينى صور الاشياء والناس ، فلم اقدر ، بعد ، ان ارى او ان اسمع شيئا . حتى اننى لم اقدر ان ابقى واقفا على قـــدمى ، واعمى على فهويت على الارض .

* * *

وحين أفقت ، رأيت نفسي امام (المحقق) ، وقد صار المحقق يسلبني في اول الامر ، وحين ثبت الى رشدي شرع بالتحقيق معي ، وللمحافظة على سلامة ابنتي انكرت كل شيء . واذا تعب المحقق من اصراري على الانكار ، لم يكن له بد من اصدار الامر باطلاقي .

وما ان رأيتني حرا حتى ادركت ان واجبي انما هو ان ابادر بالذهاب الى (آتريكو) ، وان اطلعه على حقيقة القضايا ، وان ارجوه ان يعطيني شيئا من النقود لكي انتخب محاميا ماهرا ، يدافع عن ابنتي .

وسألت من ادارة المؤسسة عن عنوان (آتريكو) ، وذهبت في ذلك اليوم نفسه اليه .

ولم اكن قد رأيت (آتريكو) حتى ذلك اليوم ، وحين دخلت بيته رأيتني امام شاب ، فارع القد ، نحيف الجسم ، ذي لحية مدورة وشاربين دقيقين ، ووجه أنور ممتقع اللون ، فصيح اللسان ، حلو البيان . وقد اثار ظاهر حاله شفقتي عليه ، ووجدتني آنس اليه . فتقدمت نحوه ، وقدمت اليه الشال والربطة والقفاز ثم اخرجت دفتري وكتبت اليه فيه ما اردت ان اقول . وما ان وقع بصره عليه حتى نصل لون وجهه ، فعبس ، وتراجع قدما ، ووقف ساكنا في مكانه .

ومضت لحظات وانا انظر اليه متعجبا مرتعشا . وعلى حين غرة ، تقدم الي ، وألقى علي نظرة باردة مشوبة بالهزء والسخرية والغضب ، بينا قد ظهر على سيمائه الكبر والغرور ، وقال لي ـ بلهجة خشنة :

« اني ارجوك المعذرة ، ايها السيد ! ان ابنتك لم تكن لي بالخطيبة ولا بالمعشوقة ، انها لم تكن الا زميلتي فحسب ، ولم تتجاوز علاقتي بها حدود الصداقة العادية ، واني ارد منها شيئا ، ولم اخذ منها نقودا ، ولم تكن بيني وبينها اي لون من الروابط الخاصة ، ايها السيد ! اني لاعجب من ان ابنتك قد حشرتني في حادثة مخيفة ، لم يكن لي فيها تدخل ابدا .

انى لا علم لى بهذا الموضوع ! ان ابنتك لجسورة وقحة جدا • أساءت الاستفادة من صداقتى ، ثم اتهمتنى • والحقيقة ان فى ابنتك الان حاجة الى النقود ، ولكننى خالى الوفاض ، ولا استطيع انقاذها ، ولست بمسؤول عن هذا الشأن • فاذهب انت وفتش عن رجل آخر • انى لست ابلـه ولا عاشقا • ولست استطيع ان اقوم بمعجزة ! تفضل ! ••• تفضل فاحمل هذه الهدايا ، فبعها ؛ فانى اعلم انك محتاج كثيرا الى ثمنها • »

وحملت الهدايا • وصرت انظر الى (آتريكو) مشدوها ، يخامرنى الغضب ، وانا ارتعش من فرعى الى قدمى ، ان انكاره قد اغضبنى الى حد ان قلبى صار يفيض بالغيظ والحقد عليه ، وكان الغضب يهـــد ويحطم اعصابى ، ولم انبس ببنت شفة فخرجت بدون ان اودعه ، وقد اضطرب خاطرى وتشتت أفكارى • وكنت قد غصت فى نفســى بحيث لم التفت الى اى شيء آخر •

وحين وصلت الى الشارع ، والنسيم البارد يلطـــم وجهى ورأسى كالسوط ، ثبت الى نفسى ، وجعلت افكر فى قضية بنتى مرة اخــرى ، فتوجهت ، رأسا • الى السجن ، وطلبت مقابلتها •

ولما لاقيت (بيانكا) لم أقل لها شيئا عما جرى بينى وبين (آتريكو) ، لم ارد ان اعذب قلبها ، او اهين حبها ، فقلت لها : « لقد اوصلت الهدايا الى (آتريكو) ، وقد كان مضطرب الفكر من اجلك ، وكان يريد ان يحضر ليراك ويساعدك • ولكنه الان مريض ، طريح الفراش • • » وما ان سمعت هذا الكلام حتى تحلق الدمع فى عينيها • واقسمت على بكل عزيز لدى ان اذهب اليه وامرضه حتى ينال الشفاء •

وخرجت من السجن وقد ضاقت بى الدنيا على رحبها • وكان قد عذبنى الألم والغم والحيرة والاضطراب كثيرا • ولم أدر ماذا أصنع والى اين اتوجه •

ولم استطيع ، بعد الآن ، ان ارى بيتى المظلم المحزن الذى خلا منه وجود بنتى ، وأن اتحمل الانزواء ، فان صورة (آتريكو) كانت تتجسم كل لحظة فى خيالى ، فتذكرنى بخيانته وانحطاطه ، فتركت بيتى فكنت اقضى الايام برؤية بنتى ، او بمخالطة رفاقى من الفنانين ، وكنت ابقى فى الليالى ، فى بيوت اولئك ، فكان هناك طعامى ومنامى .

ومضت عدة اسابيع ، ثم حان يوم عصيب كلما تذكرتـــه ارتعش جسمى حتى اناملى ، ووقف دمى عن الجريان :

فقد حاكموا ابنتى ، ونفوها الى مدينة صغيرة من مـــدن جنوبى ايطالية .

ووقع على هذا الحكم وقوع الصاعقة ، فصممت على ان انتحر بعد تسفيرها ، فذهبت لملاقاتها ، لاشبع ، لاخر مرة ، عينى وقلبى وروحى من رؤيتها .

واتت ترانى من وراء قضبان السجن ، وكانت تبدو للنظر ــ هادئة مستريحة ، فواستنى ، ورجتنى ، بلهجة تثير الرحمة ، ان اذهب لملاقاة (آتريكو) ، وان التمس منه ، على الرغم من مرضه ان يذهب لزيارتها ، لانها ستنفى يوم غد .

وكانت (بيانكا) عاشقة هائمة ، وكانت فى الوقت نفسه يائسة تخشى ان يرسل بها ، فجاءة الى منفاها ، فلا تنعم برؤية (آتريكو) حتى مـــرة واحدة ، وكان قلبى يتعذب من اجلها ، وقد اقسمت لها لارسلن (آتريكو) ليراها . فتضرعت الى قائلة : انى اريد ان اراه وقد لبس الشال الجديد والربطة والقفازات التى اشتريتها له . اريد ان احس انه يحبنى ، دائما ، وانه لى اريد ان اراه ، لاخر مرة ، وان اقبله . فتكون هذه القبلة زادى ومتاعى ، واذا حرمت منها ، فسأموت قبل ان اصل منفاى .

فانخلع قلبي • كنت اريد ان اشرع بالبكاء ولكـــن تمالكت نفسي ووعدتها ان انفذ مطلوبها ، ثم خرجت وانا عازم مصمم ، و توجهت فورا الى بيت (آتريكو) •

* * *

وحين وصلت الى هناك ، وجدت (آتريكو) ينظر الى الشارع من وراء زجاج النوافذ ، وفي شفتيه دخينة (سيجارة) ، فعاد الى هدوئي ، فصعدت السلالم مسرعا وطرقت الباب فدفعني خادم عبوس ضيق الجبهة ، وقال ، وهو يسد الباب في وجهي :ـ

ـ « لا احد هنا ! لقد خرج سيدي من البيت ولا ادري متى يرجع•»

بقيت عيناي من التعجب جاحظتين ، وانعصر قلبي ، وفتحت يدي ، علامة للالتماس والتضرع ، واردت بالحركة ان افهمه اني مطمئن الى ان سيده في البيت • ولكنه لم يرحمني ولم يشفق بي • وحين رآني أصر ، امسك بيدي يخرجني وهو يتمتم • فاظلمت الدنيا في عيني ، واحسست اني لا تسلط لي على اعصابي • بعد الان فاتكأت على حافة الباب ثم جلست ، بصعوبة ، على كرسي ، وطلبت ، بالاشارة ، من الخادم ماء ••• فذهب الخادم حيران ، وتنفست الصعداء ، وشيئا فشيئا استعدت هدوئي •••

وفي هذه اللحظة ، لفت نظري ، مصادفة ، مشجب ملابس قـــد علقت عليه قبعة (آتريكو) ••• وظللت أرنو اليها ، وفجأة انقشعت عن سماء ذهني سحب الهموم • والتمع في عقلي فكر عجيب نادر ، فارتعش جسمي ، و شملني من فرعي الى اخمصي قدمي فرح مخصوص ، وبدون تأمل مددت يدي الى احدى قبعات (آتريكو) فطويتها بيدي ووضعتها في جيبي • وما ان اتى الخادم بالماء فشربته ، حتى استعدت نشاطي الضائع ، ففتحت الباب ، معتدل القد ، وخرجت الى الطريق •

وحينذاك انشغلت بخيالاتي وأفكاري ، وفرحت بهذا العلاج ، ولاول مرة – منذ ان اعتزلت المسرح – احسست ، بالغريزة ، انى فنان ذو قابلية ، وبدون مثيل ، وانى استطيع أن امثل أدوارا عجيبة عظيمة ، وأن اكن شيخا هما قد حطمته السنون .

وحين وصلت الى البيت ، ذهبت رأسا الى مخدعي ، فأضأت المصباح ، وصرت افتش في مجرات نضدي فوجدت فيها قليلا من الاصباغ والشعر المستعار كانت قد بقيت عندي منذ أن كنت امثل أدوار روميو وهاملت .

ووقفت امام المرآة ، وجسمت امام خيالي صورة (آتريكو) وجعلت وجهي كوجهه ، بصبر ودقة ومهارة ، وكنت جذلا بفني ، وكنت ابتسم مغرورا .

فظهر على صفحة المرآة ، شيئا فشيئا ، وجه (آتريكو) بشاربه الدقيق ، ولحيته المدورة ، ولونه الممتقع الجذاب ، وكنت ارغب في ان ابعث الصياح والصراخ لفرط ما اعتراني من فرح ونشوة . فاسرعت الى الصندوق ، ففتحته ، فأخرجت منه هدايا ابنتي ، اي الشال الازرق ، والرباط الاحمر والقفاز ، فعقدت الرباط حول رقبتي ، وجعلت القفاز في يدي ، ووضعت القبعة التي كنت قد سرقتها ، على رأسي ، ولففت الشال على عنقي ورميت طرفيه الى الاعلى ، وتوجهت الى السجن ، واحسست ، في هذه الحال ، أحساسا عميقا بأني شاب في الثلاثين ، اسرع لتلبية رغبة المرأة التي احبها حتى العبادة ، واعلم انها محتاجة الى كثيرا .

* * *

وحين سمح لي بدخول السجن ، قطعت (ممره) الضيق المظلم ، مرفوع الرأس ، بسرعة الشباب وخفتهم . ورأيت شبح (بيانكا) ، بين القضبان ، من خلال ظلام الممر ، فصرخت وهي تفتح ذراعيها ،بفرح : « (آتريكو !) وحينذاك لفتني بذراعيها وهي تشد عليّ ، وكانت كظمآن

بلغ الماء الزلال ، وكان ضوء الممر قليلا خافتا ، وكانت ظلال السجناء ، تتراقص امام عينى ، فى ذلك النور الخافت • وهدأ قلبى ، وتعمدت البكاء كى اقضى تلك الدقائق المعدودات التى سمح لى فيها باللقاء ، وانا لا اضطر الى الكلام ، ثم غلبنى التأثر وانا ابكى ، فأجهشت ودام بكاء عدة دقائق ، وادركت (بيانكا) مقدار الاخلاص فى تأثرى ، فاخذت تبكى ، وتعلقت برقبتى ، وقـربت اليهـا راسى لتقبلنى ، وهى تحسب انى (آتريكو) ، لتقبلنى (قبلة الوداع) التى كانت تتمناها وتركتها تقبلنى كما تشاء ، وقبلتها انا ايضا ، من وجنتها ، قبلة طويلة ، كما يفعل العشاق •

واعادنى الى رشدى رنين جرس السجن الذى كان يعلن انتهاء ، المقابلة ، فصرخت (بيانكا) من اعماق قلبها وهى تتابع تقبيلى بنهم : « انى اسلمك لابى » فهززت راسى وانا ابكى ، ثم قبلتها ، وعلى مهل غادرت السجن •••

★ ★ ★

ولم اكن قد قطعت الممر الطويل ، بعد ، حتى ادركت انى لن استطيع بعدة لحظات ان اعود الى حالى الاولى وشكلى السابق ، لاودع ابنتى • واحسست انى ان رجعت الى (بيانكا) ، فستطلب منى عهدا بان اذهب لزيارة (آتريكو) وحينئذ ستثير فى قلبى محبته ، وستغرينى بان امرضه وارعاه ، فخشيت ان يلين عزمى • ورجعت الى البيت وبعد ان ازلت عن وجهى زينته استرحت قليلا ، واحتسيت عدة اكؤس من الشراب ثم غادرت البيت وتوجهت الى بيت (آتريكو) وطرقت بابه ، وحين فتح الخادم الباب دفعته بشدة • ودخلت الغرفة ، وصرت اصرخ صراخـا مفزعا ، فتعجب (آتريكو) ، وتقدم الى دهشا ذاهلا • فلم امهله ، وفى غمرة الحقد وحب الانتقام اخرجت (مسدسى) وصوبت فوهته اليـه ،

فصرخ صرخة عظيمة ودار حول نفسه وهوى على الارض • ثم اسرعت ، بدون تأخر ، وصوبت فوهة المسدس الى دماغى لكى انتحر وانهى كل شىء ، الا ان الخادم وصل فتعلق بى وضربنى ضربة شديدة أفقدتنى وعيى، فستطاع بذلك ، أن يأخذ من يدى المسدس ، وان يشرع فى الصراخ ، ويستغيث بالجيران ، فقبضوا على ، وسلمونى الى الشرطة •

★ ★ ★

سيدى المدعى العام !

هذه هى سيرة حياتى ، كتبتها لك دون زيادة او نقصان ، فان حظى قد حرمنى نعمة الكلام ، وكان من واجبى ان اعترف •

سيدى المدعى العام !

لا ترحمنى ، ولا تحا ول ان تخفف عقابى ، فقد مات منى شهرتى ولسانى وابنتى • فماذا يمكن ان يكون لى من هدف فى الحياة بعد الآن ؟!

سيدى المدعى العام !

أصدر الحكم باعدامى ، ترحنى بذلك ، وترح ضيرك •

★ ★ ★

وحكم على (جياكومو) الفنان الشهير ،حبيب بنات ايطالية ، بالحبس عشر سنين •ولم يعلم بذلك ابنته ، خشية ان تنتحر ، وهو ، أيضا ، نفسه لم يتحمل عذاب السجن ، فأصابه مرض عضال ، لم يمهله غير عام واحد ، فودع الحياة •

قصة يابانية

ام وابن

كتبها : جيران هيزاو

ترجمها عن النص الفرنسي : الدكتور علي جواد الطاهر

خصصت « نيويورك هرالد تربيون » و « الينفرسـال فتيورز » جوائز قدرها ٥٠٠٠ دولار لمسابقة فى القصة القصيرة وتولت جريدة « فرانس ـ دمانش » وجرائد ومجلات اثنى عشر قطرا تنظيم المسابقة • فتألفت فى كل قطر لجنة لاختيار أحسن القصص المقدمة : اثنتين ، ثلاثا أو أربعا حسب عدد سكان البلد المتسابق ، ثم لجنة دولية عليا لاختيار قصتين اولى وأربعا ثانية وخمسا ثالثة •

وقد جمعت دار كاليمار القصص الرابحة فى مسابقة ١٩٥٣ـ١٩٥٤ ، بعد أن أضافت اليها القصص الفائزة باختيار اللجان المحلية وترجمتها الى اللغة الفرنسية ونشرتها فى كتاب خاص بعنوان « أحسن ٥٦ قصة جديدة فى العالم » وترجم الدكتور سهيل ادريس عشرا منها بعنوان « ١٠ قصص عالمية » ونشرها فى بيروت •

شجع نجاح المجموعة الفرنسية دار كاليمار على جمع نتائج مسابقة ١٩٥٤ـ١٩٥٥ فنشرتها بعنوان « أحسن ٥٤ قصة فى العالم » • وكانت الاولية فى هذه المسابقة لانكلترة (بالقصة : أخى ، أخى بقلم *Norhan Burke*) ولليابان بالقصة التى ننقلها هنا لقراء « المعلم الجديد » •

* * *

طلبت الشرطة المحلية معلم الصفوف الاولى من مدرسة ابتدائية ، قريبة من مخيم اميركى فى « آتسيجى » لامر يتعلق بأحد تلاميذه •

دخل مأمور المركز قاعة الانتظار تتبعه امرأة خلبت المعلم بحيوية نظرتها واشراقها •

وقال المأمور :

ـ آسف لانى أزعجتك . وأجرى التقديم .

وقال وهو يجلس ازاء المعلم :

ـ الآنسة موظفة فى الاسعاف الاجتماعى ، ومهمتها اعادة تربية صبيان البلدة . ولان مركزنا حديث النشأة ولما يتألف فيه فرع الصغار ، دعوناها لتساعدنا . وعلىّ أن أخبرك أن القضية التى دعوتك من أجلها ليست خطرة جدا ، فلا تقلق كثيرا .

وقالت الاسعافية :

ـ ان القضية ، كما ذكر مأمور المركز ، ليست خطرة بنفسها . والحق ان تلميذك لم يرتكب جريمة كبيرة . وكل ما فعله انه أشعل النار فى حصن قديم اودعت فيه مواد اميركية . ونحن لا نشك فى أن هذا الطفل ليس مجرم حرائق ، ولابد من أنه كان يلعب لعبة القرصان أو أية لعبة مشاكلة ؛ ولكنه يرفض باصرار أن يفتح فمه ، ونحن ملزمون أن نضع فى الاضبارة اعذارا أو توضيحات .

وقال مأمور المركز :

ـ نحن لا نصر على بقائه هنا طويلا ، ولكننا لا نستطيع اطلاقه قبل أن تكمل اضبارته . ولهذا دعوناك للحضور ، فأنت معلمه ولابد من أنك تعرفه بما تستطيع أو تزودنا من معلومات عن أخلاقه وعن حياته العائلية ... الخ . وبهذا يمكننا أن نؤلف تقريرا عنه ويمكننا تحريره .

انحنى المعلم بأدب :

ـ علىّ أن أشكركم على الاتعاب التى تحتملونها من أجل هذا الطفل .

ـ ولنأت الى صميم الموضوع .

فتحت الاسعافية اضبارة :

ـ تارو تزيمى ، ست عشرة سنة وشهران . ولد فى « سائبان » .

فى الصف الاول من مدرسة القديس يوسف الابتدائيـة • يدرس بنفقة « آدام » • كان أبوه خبيرا فى الانواء الجوية ويعمـل فى مكتب الادارة اليابانى ، توفى عـام ١٩٤٠ ، وكانت امه موظفة فى شركة نانيو كاهاتو ، ولابد من أنها قتلت أيام احتلال الاميركان لسائبان • أما عن تارو ، فمـا السبب الذى جعله ، وهو فى هـذا العمر ، يكون فى الصف الاول ؟ انه متأخر ، حم ؟

قال المعلم :

ـ فى نهـاية الحرب ، كان تارو قد ارسـل ويتامى آخرون الى « هاوائى » ، وادخل فى مدرسة اميركية معادلة لمدارسنا الابتدائية ، وأمضى فيها ست سنوات ، عاد بعدها الى اليابان وسجل فى مدرسة القديس يوسف ، وكان الواجب أن يدخل الصف الخامس ، ولكن معرفته باليابانيـة كانت غير كافية •

ـ ما معنى نفقة آدام ؟

ـ ليست هذه نفقة فى حقيقتها • وكان آدام هذا ، ضابط استعلامات اميركيا مسؤولا عن يتامى سائبان • وقد اختار منهم خمسة أخذ على عاتقه الصرف على دراستهم بشرط أن يدرسوا اللاهوت فيما بعد • ولدينـا فى مدرسة القديس يوسف ثلاثة من هؤلاء •

ـ كان تارو فى الرابعة عنـدما مات ابوه • ولا ينتظر أن يتذكره ؟ ولكن هل تستطيع أن تعلمنا من أى من النساء كانت امه ؟

ـ من هذا النوع الذى يمكن تسميته بالمثقف ؟ فهى حائزة على دبلوم من جامعة طوكيو • وكانت فى سـائبان مديرة موظفات الشـركة وكانت تدير ـ فيما بعد ـ ملهى للضباط اسمه « هالو » • كانت جميلة جـدا ، جميلة أكثر مما يجب • ولم تكن النساء لتحبها •

ـ وهل عاش الطفل فى هذا الوسط ؟

ـ لا • كانت أمه ـ كما أخبرتك ـ جميلة أكثر مما يجب ، وتوفرت لها فرص اللهو ، واذن كانت فى شغل شاغل عن الاهتمام بالطفل ، واودعته لدى بشر من أهل احدى جزر المحيط الهادىء ، كان يعيش فى الجزيرة منذ العهد الذى حكم فيها الالمان •

ـ واذن ، لم يتأثر الصغير ـ بشكل من الاشكال ، بالحياة التى كانت تحياها أمه ؟ •

ـ لا • انه ليجهل كل ما يعرفه صبى فى عمره • فما ذهب قط للسينما ـ مثلا • وكان مجتهدا ولكنه كان يحيا حياة جافة تقلقنى أحيانا •

قالت الاسعافية وهى تقلب اضبارة :

ـ هذا ممكن ، ولكن هل تعلم انه فى ٣ مايس كان يبيع الورد فى « جنزا » متنكرا فى ملابس فتاة ؟ لقد رآه أحد زملائى ونبهه • هل تعلم أنه جمع مرة جنودا اميركيين عند خروجهم من المخيم واقتادهم الى طوكيو ، وانه وجد أخيرا فى حال شديدة من السكر فى الساعة السادسة صباحا قرب محطة « اريا » على خط « ساكامى » وقد حيل بينه وبين أن يدهسه قطار الصباح ؟

وكان صمت تقطعه الريح التى كانت تعول خلال حقول العشب الميت • ثم أضافت الاسعافية لتعزى المعلم قليلا :

ـ انك تعرف الطفل منذ زمن طويل ، وأنا متأكدة من انك لم تره الا من الجانب المحمود ، وانك لم تر منه قط ما تؤاخذه عليه • ومن المحتمل أن أخلاقه تغيرت حديثا • تنكره فى ملابس فتاة ، سكره ، لعبه مع السفلة ، انسه باشعال النار فى مكان ممنوع بشدة ، هذه الافعال تختلف ولكنها تؤلف أجزاء من سلوك واحد • وهذا يشير الى ثورة على كل القواعد • أيمكن

أن تكون فيه ثغرة نفسية ؟ ولكن ، لابد من سبب فى الاساس • ان الشخصية لا تتطور هكذا بين عشية وضحاها • ولعل ذكرى قاسية دفعته الى أن يسلك هذا السلوك • أتستطيع أن تنورنا فى هذا الموضوع ؟

هز المعلم رأسه بحزن وقال :

ـ لا أدرى أيمكن أن يخدمكم هذا الطفل ؟ ولكنى أذكر حادثة يمكن أن تكون قد أثرت فى نفس تارو تأثيرا عميقا ، فقد حاولت أمه قتله • وعثرنا عليه ، آدام وأنا ، مخنوقا عند شجرة جوز على هضبة شماليتا ؟ وقد لف حبل ثلاث لفات حول رقبته وشد بحيث لم نستطع حله بسهولة • وكان الحبل مطليا بالصابون ليسهل انزلاقه ، ان الجانب الواعى والمقصود من الفعل ـ مع اننا عرفنا الدافع اليه ـ أخرجنا عن طورنا • ولقينا عنتا فى سبيل اعادة تارو الى الحياة • ولم نكن لنأمل فى امكان عودته الى الحياة • وبعد أن اجرينا له التنفس الاصطناعى ، نقلناه فى سيارة جيب الى المستشفى العسكرى • انتحر فى ذلك العهد ، كما تعلم أكثر من ثلاثين ألف يابانى مدنى ، لانهم كانوا متأكدين من أنهم من هؤلاء الذين يقتلهم الامريكيون على كل حال • وانتحرت بالقنابر اليدوية عوائل كاملة • وألقى آخرون بأنفسهم فى البحر من أعلى الجدار الصخرى وهم متماسكون يدا بيد • وكانت هذه الاحداث توجد مجتمعة • وهذه الحال ، هى ـ فيما أعلم ـ الوحيدة التى عثر فيها على جثة طفل منفردة •

قال مأمور المركز قاطعا صمتا بدا للاسعافية ممقوتا أن يكسر :

هذه القصة مرعبة ، ولابد من أنها تركت فى نفسية هذا الصبى أثرا عميقا •

وتحرك المعلم فى كرسيه :

ـ هل أستطيع أن أراه الآن ؟ وددت لو ألقيت عليه عددا من

الاسئلة • يخطر ببالى شيء يمكن أن يهدينا سواء السبيل •

ـ بكل تأكيد •

وقال المأمور مشيرا الى باب الى اليسار :

ـ من هنا ، تفضل •

كان تارو جالسا على أرضية غرفة صغيرة مظلمة مخصصة لـ « صبيان تحت المراقبة » ، وبينما كان يتأمل السماء من نافذة صغيرة ذكرته بمدخل برج الطيور ، فكر بأيامه الاخيرة فى سائبان •

الظلام ، والرطوبة ، والصمت الثقيل ، والتعب النفسى ، كل اولئك كان يذكر بكهف سائبان •

الصخور فوق الكهف مغطاة بالطحلب وقد نبتت فيه أزهار صغيرة • وتؤلف ذروق الطيور بقعا بيضا على الصخور • كان مدخل المغارة الى الغرب وكانت مظلمة ورطبة طوال النهار ، حتى اذا حل المساء أضاءت الشمس الغاربة الحيطان ووجوه الناس المختفين فى الزوايا •

وبدت فتاة لا تملك غير الجلد والعظام بجمع حبوب الرز الساقطة بين الحصى • ثم تمسحها وتأكلها واحدة واحدة • ووراءها جندى بعيون مجنونة ، شبع من العشب ولعاب أخضر يسيل على ملتقى شفتيه • ولكن ، ما أسرع ما يغطى الليل هذه المناظر ، ويأتى نهار آخر يعقب هذا •

ومر بفكر تارو :

« حان الوقت لان تذهب فتحضر الماء » • كان ينتظر هذه اللحظة بجزع • فمنذ سكنا المغارة كان مجنونا بالسعادة التى تهيأت له بالعيش مع أمه والقيام بخدمتها • كان ينتظر كلمة منها ، وعيونه مثبتة فى وجهها النضر •

ـ اذهب واحضر الىّ الماء ، يا تارو •

وكان تارو يضطرب ولاءا لدى سماع صوتها انه مستعد لعمل

كل شيء من اجل امه . كان مورد الماء العذب على خمسين مترا الى الاسفل . وكان عليه أن ينزل الجدار الصخرى عموديا ، هذا الذى يكفى معه لاصابة النازل بالدوار قنينة فارغة يحملها بيده . ويزيد فى ذلك أنه اذا وجد جنود امريكيون على الجدار الصخرى ، فانهم يطلقون ـ دون ترو ـ على كل من يتحرك . ومع هذا ، لم يخف تارو قط ، ولم يشعر بأى خطر . فقد كان يسعده كثيرا أن يستطيع تقديم الماء لامه .

وسأل نفسه :

« كم كان عمرى آنذاك ؟ » وحك رأسه بحائط حجرته وشرع ينشد :

« ايها العابر . قل « للاسدمون » اننا نرقد هنا طوعا لاوامر الملك » .

كانت أمه قد علمته ـ اخيرا ـ القصيدة وحفظته اياها بيتا بيتا لكى تدخلها فى رأسه .

« لاسدمون اسبارطى . منذ ألفى سنة ، وقفت حفنة من الجنود الاسبارطيين ، الجيش الفارسى فى مكان اسمه « ترموبولس » ومات الجميع فى المعركة . وقيل ان حجرا رفع على ميدان المعركة القديم ، يحمل هذه الكلمات . ألم يكن هؤلاء الاسبارطيون شجعانا ؟ عليك ألا تنساهم » .

حاولت أمه أن تجعل من هذه اللحظات الاخيرة التى كانا يمضيانها معا أحلاما جميلة من التاريخ .

وتمتم تارو وهو يجهد لان يتصور موته : « آن ـ اخيرا ـ أواننا » . آباء وأطفال يلقون بأنفسهم من أعلى الجدار الصخرى مطلقين أو مربوطين جميعا بحبل ، ويدخلون ماء البحر من الشريعة . وهكذا كان يختفى فى كل يوم أمام عينيه مجموعات قليلة . وكان تارو ينتظر أن يدخل الماء ممسكا بيد أمه ، فلا يحس بأى أسى .

في مساء هادىء ساكن جميل قد لونت فيها الشمس الغاربة السماء بالوردى الارجوانى ، أخذت أمه حبلا وأمرته بالخروج معها من المغارة .

قالت له :

ــ ليس من المعقول أن أفعل هذا أمام كل الناس ، تعال الى الخارج .

ولم يكن تارو قد فكر ــ قبل هذا ــ فى أنه سيموت وحيدا ، ولكنه عندما عرف أن أمه تعتزم خنقه ، استسلم وتبعها حتى أعلى الجدار الصخرى ، مبديا ــ من أجل ارضائها ــ وجها فرحا باشا .

دخلت الاسعافية واقتادت تارو فى الغرفة حيث كان الناس المذنبون . وفى قعر الغرفة وعلى مسطبة مغطاة بحصير جلس المعلم الذى كان معروفا لدى تارو ورفقائه بلقب « القديس يوحنا » . والقديس يوحنا رجل من « اوكناو » ، اشتغل مديرا لمزارع قصب السكر فى سائبان . وعندما مثل تارو ازاءه شرع يعظه على الطريقة المعتادة الثقيلة . واذ كان تارو يستمع ناكس الرأس ، استقر نظره على مسدس مشدود الى حزام شرطى كان يكتب على منضدة تمتد على طول الحائط ، وقال فى نفسه : « ان هذا المسدس من ذلك النوع نفسه » . ذلك ان شابا من ضباط البحرية سمح لتارو ــ وهو فى المغارة ــ أن يلعب بمسدسه الضخم .

قال القديس يوحنا :

ــ لقد تنكرت فى ملابس فتاة وبعت الورد فى حى جنزا .

وفكر تارو فيمن عساه أبلغ هذا ، القديس يوحنا ، مع انه لم يفعله الا مرة واحدة . أهى الاسعافية ؟ ام انه « يوناكو » من شعبة « أ » من الصف الثانى ، وهو الذى أعاره الثوب ؟

واستأنف القديس يوحنا وقال :

ــ انك لا تحب أن تعيش عالة على الآخرين ، ولذلك رأيت أن تكسب

المال بنفسك ، أليس كذلك ؟ انى لأقدر فيك روح الاستقلال ، ولكن ، لم لبست ملابس فتاة وبعت الورد ؟

وقال تارو فى نفسه : « لقد أخطأ هنا » ، لبس ملابس بائعة الورد ولكنه لم يبع الورد • ان القديس يوحنا لا يعرف ، فى حقيقة الامر ، شيئا •

كان تارو قد سمع فى هونولولو أن امه تدير حانة فى جنزا ، ولهذا ، فانه ، بحث ، فى نفس المساء الذى وصل فيه الى طوكيو ، عن الحانة ووجدها • وكان الدخول الى الحانة ممنوعا على الصغار ، الا على بائعات الورد أو عازفى الاوكورديون ، وكل الناس يعرفون ذلك • ولذا لبس تارو التنورة التى أعيرت له واتجه نحو الحانة التى كانت تديرها أمه • دخل الحانة فى ذلك المساء ، بين الثامنة والعاشرة ، خمس مرات ، والحانة خالية من الزبائن وامه منزعجة ، صاحت به غضبى :

ـ لا تعوزك الوقاحة ، كم مرة فى نيتك الدخول هنا ؟ ان زبائنى لا يرغبون فى وردك •

وأمسكت مرة احدى الخادمات بياقة ثوبه وألقت به الى الخارج • ولكنه عاد على الرغم من ذلك •

وأنبه القديس يوحنا :

ـ كنت تنقل بالتاكسى الرجال الذين يصلون من كورية كل سبت • لا شك فى أن ذلك يعود عليك بالمال ، ولكنى أتألم كلما تذكرت أنك تستغل معرفتك اللغة الانكليزية فى مقامات دنيئة •

وقال تارو فى نفسه « وهنا ايضا ، انك لا تعرف شيئا • لم أعمل على كسب المال لنفسى ، انما كان الزبائن فى حانة أمى قليلين ، ولذلك عملت على ترويج بضاعتها قليلا » •

كان يقصد الى مساعدة أمه من دون أن تعلم بذلك ، ولكنه ارتكب

غلطة كبيرة . وفى مساء أول سبت من تشرين الاول ، بينما كان ذاهبا الى بائع النبيذ قرب مخيم « فنخام » - الذى كان محله ملتقى سواق التاكسى - ليبحث عن سيارة واذ بسائق من أصدقائه يقول له :

- صاحبة الحانة التى تتحدث عنها هى امك ، أليس كذلك ؟ انك ، فى الحق ، ابن بار جدا . ولكن هل تعلم - ايها الصغير - هذا الذى تفعله امك مع الرجال الذين تنقلهم اليها ؟

ظل تارو صامتا والسائق يقول :

- اذا كنت لا تعلمه ، فانى سأريكه .

نادى أحد السواق الآخرين وأراه تارو ... عاد تارو فى تلك الليلة متأخرا الى داخلى القديس يوسف ، وتهاوى على فراشه وقد « لواه » الأسى . ولم تبق أمه أمه . انها ليست الا امرأة . ولم تبق لتارو رغبة فى العيش فى هذا العالم الذى صحا عليه بعنف وحقارة . وود لو مات فى الليلة نفسها . أخرج من صندوقه تصاوير أمه القديمة ، ورسائلها ومزقها قطعا ورمى بها فى سلة زبل المطبخ . وتلفت حوله عله نسى عمل شيء ما . ولكنه لم ينس شيئا .

وقال : « علام ؟ وليس لى غد » . وعندما لحظ أن كل ما بقى له عمله هو أن ينام قليلا حتى يحين مرور أول قطار ، فان فكرة قصر الحياة التى بقيت له أن يحياها أفزعته وطفق يبكى .

وواصل القديس يوحنا كلامه بلهجة اللائم :

- كنت تسير من سىء الى أسوأ ، وذلك طبيعى جدا ، ويظهر انك كنت تمشى ، وقد جننتك الخمرة ، على طول طريق ساكامى ، وما بينك وبين الموت الا قليل . ما كنت لأعتقد قط انك تنحط الى دركات الشرب .

فكر تارو ان ذلك « حق وباطل » ، لم أشرب ، ولكن لعلى كنت

سكران . كان ذلك حوالى الفجر . المصابيح الكهربية مضاءة على طول الرصيف وفوق حواجز المحطة . وذلك يعنى قرب مرور قطار الصباح . خلعت سترتى وألقيت بهـا على العشب وتمددت على الارض بين الخطين منتظرا أن يمر القطار على جسدى . ولكن القطار لم يمسسنى ، وسمعت عامل الخط ، الذى نقلنى ، يقول لمدير المحطة : « لو كان مرتديا سترة ، لتقمه القطار وسحقه . ولكنه كان بقميص فقط ، وهذا هو الذى أنقذه » .

كان كل مطلب تارو أن يموت ؛ وفى احدى ليالى الخريف ، سرق النفط من المطبخ واجتاز الحقل الـكائن وراء الداخلى ودخل ملجأ خربا ورش على نفسه النفط . لقد أتلف كثيرا من عود الثقاب قبل أن يستطيع اشـعال الثقاب فى كميه ، ولكنهـا كانت نارا ضعيفة . ان النفط الجديد لا يشتعل بنفس السرعة التى كان يشـتعل فيهـا النفط القديم . وأطفأتها الريح سريعا . وواصل آيسا فرك الثقاب واشعال النار فى قطع ملابسه ، ولكن الاشتعال كان بطيئا وذا دخان . عندما جاء الناس ليروا الذى حدث ، كان تارو مغميا عليه ، وشبه مختنق بالدخان .

ـ لم أشعلت النار فى مواد حرب امريكية ؟ أعلمتنى الشرطة انهـا ستسمح لك بالخروج اذا قلت الحقيقة ، والا عوقبت .

لم يعلم تارو ان مواد حرب اميركية كانت فى الملجأ . انه لم ينجح حتى فى اشعال النار فى ملابسه .

ـ وصاح فجأة أن اقتلونى ، اقتلونى .

ـ وصاح القديس يوحنا : اخرس ، ونهض وترك الغرفة مسـرعا كما لو كان مقتنعا بأن تارو أصبح مجنونا .

ودخل شرطى شاب ونزع حزامه وألقى به والمسـدس فى قرابه ، على الحصير وتمدد وأغلق العينين . نظر تارو الى المسدس ، وكان الشرطى

الآخر منهمكا فى الكتابة على المنضدة وظهره الى تارو .

وقال تارو : « آن الاوان » واتجه بحذر نحو حزام الشرطى النائم . أخرج المسدس من قرابه وتلمس جمجمته متأكدا وانسحب الى الوراء ونهض فجأة وضغط على الزناد وطارت قطع من جص الحائط المقابل . وأرسل الشرطى الشاب الذى كان يغط ، زعقة وتدحرج حتى نهاية الحصير وأسرع على أربعة أطراف واختبأ تحت المكتب وألقى الشرطى الآخر بنفسه خلف المكتب وسحب مسدسه . وأطلق على الصبى الذى كان ممسكا مسدسه مدخنا .

سقط تارو كما لو أن عمودا حديدا ضربه على صدره . اتكأ على الجدار الذى كان وراءه وأرسل حسرة طويلة . ملأت عيونه الدموع وسقط على الارض .

الثبت

رقم الصحيفة

بيانات :

* تنشر المجلة ما يكون خاصا بها ومتفقا وخطتها .
* لا يعاد المقال الى صاحبه نشر ام لم ينشر .
* البدل السنوى لمشاركة أعضاء الهيئة التعليمية ومنتسبى وزارة المعارف فى ملاك الديوان (٢٥٠) فلسا ، وللطلاب (١٥٠) فلسا ، ولمن يرغب فى المشاركة من غير المنتسبين الى وزارة المعارف (٥٠٠) فلس داخل العراق و (٧٥٠) فلسا خارجه .
* تكون المراسلات بالعنوان الآتى :

سكرتير مجلة المعلم الجديد ـ وزارة المعارف ـ بغداد

مسجلة بدائرة البريد تحت رقم ٧٣